التنافس اليمني المصري في لسيطرة على مَكَّة ما بين عامي (629-639هـ/1231-1241م)

حسن صالح العنسي
كلية الآداب-جامعة ذمار

DOI: https://doi.org/10.56807/buj.v3i2.199

ملخص

بعد أن حَصلَ اليمن على استقلاله من الحكم الأيوبي المصري عام628ه/1230م، دخل مرحلة جديدة من العلاقة الخارجية مع مصر، اتسمت بالتنافس والعداء (المسلح)، وكان مسرح أحداث ذلك التنافس بلاد (الحجاز)، واستمر عشر سنوات من عام 629هـ/1231م حتى عام 639هـ/1241م، وهو العام الذي تمكن فيه اليمن من إخراج القوات المصرية من الحجاز، والتغلب على مَكَّة.

وتُعد تلك المرحلة من العلاقات الخارجية لليمن مع مصر، من الأهمية بمكان، بحيث لا يمكن إغفالها، أو إهمالها؛ لما تحمله من أحداث ووقائع تاريخية مهمة، منها: انتهاء الوجود الأيوبي المصري في اليمن، وقيام الدولة الرسولية التي تمكنت من بسط سلطتها على جميع أراضيه؛ لينعم اليمن بالاستقرار والوحدة، -لاسيما في عصرها الأول-، فكان له أثره في ازدهار اليمن في جميع الجوانب الحضارية والسياسية والاقتصادية والعلمية.

كما أن الباحثين الذين تناولوا تاريخ اليمن في تلك المدة، لم يستوفوا حقها من الدراسة والبحث الجاد، فلا يزال هناك إشكالات تتطلب معالجتها، علاوةً على أن هناك أسئلة تحتاج الإجابة عليها، منها: ما هي التغيرات السياسية التي طرأت في كلٍّ من (مصر، ومَكَّة، واليمن)، والتي أدت إلى نشوب هذا التنافس والعداء المسلح؟ ما موازين القوى؟ وما طبيعة ذلك الصراع؟ وما نتائجه؟ كيف أصبحت الأوضاع في مَكَّة في ظل الحكم اليمني لها؟

وهذه الدراسة تهدف إلى الإجابة على تلك الأسئلة ومعالجة تلك الإشكاليات.

Abstract

Yemen gained its independence from the Egyptian Ayyubid rule in 628 AH / 1230 AD, so Yemen entered a new phase of the external relationship with Egypt, which was characterized by competition and (armed) hostility. In which Yemen was able to expel the Egyptian forces from the Hijaz, and to conquer Mecca.

This stage of Yemen's foreign relations with Egypt is so important that it cannot be overlooked or neglected. Because it bears important historical events and facts, including: the end of the Egyptian Ayyubid presence in Yemen, and the establishment of the Rasulid state, which was able to extend its authority over all its lands; To enjoy stability and unity, especially in its first era, which led to the prosperity of Yemen in all aspects of civilization, political, economic and scientific.

Also, the researchers who dealt with the history of Yemen during that period did not fulfill the right of study and serious research, there are still problems that need to be addressed, and there are questions that need to be answered, including: What are the political changes that occurred in (Egypt, Mecca, and Yemen), which led to the outbreak of this rivalry and armed hostility? What are the balances of forces? What is the nature of that conflict? And what are its results? How did the situation in Mecca become under the Yemeni rule?

This study aims to answer those questions and address those problems.

الكلمات المفتاحية: مصر، اليمن، مَكَّة، العلاقة. التنافس، السيطرة.

المقدمة

تناول الأستاذ الدكتور/محمد عبد العال أحمد علاقة ملك اليمن نور الدين عمر بن رسول، مع ملك مصر الكامل ما بين عامي (629-639هـ/1231-1241م) بشكل مجمل في كتابه الموسوم بـ"بنو رسول وبنو طاهر وعلاقة اليمن الخارجية في عهدهما (628-923هـ/1231-1517م"، والذي صدر عام 1989م، حيث ركز على الحملات العسكرية المتبادلة بين الطرفين من أجل السيطرة على مَكَّة، دون التطرق إلى الجذور التاريخية لذلك التنافس والصراع، والتغيرات السياسية التي حدثت في كلٍّ من (مصر ومَكَّة واليمن)، وما طبيعة ذلك التنافس، وما مهام تلك الحملات العسكرية ونتائجها. فضلاً عن عدم مناقشة النصوص التاريخية التي تناولت سير تلك الحملات ونتائجها، وتحليلها ومقارنتها، ووضعها في سياقها التاريخي العام.

لهذا رأى الباحث أن التنافس اليمني المصري في السيطرة على مَكَّة، يحتاج إلى مزيداً من الدراسة والبحث، بحيث يناقش فيها التغيرات السياسية التي طبعت تلك العلاقة بطابع (العداء المسلح)، نتيجة إصرار مصر في الاحتفاظ بنفوذها في الحجاز واليمن، بينما كان اليمن عَازِماً على الاحتفاظ باستقلاله بعد الخروج المصري منه، وانتزاع بلاد الحجاز من يده.

ومادة الدراسة تم جمعها من مصادرها الأصلية، كما استخدم في الدراسة المنهج التاريخي الوصفي، القائم على المقارنة والتحليل والتفسير والاستنتاج.

والدراسة تحتوي على ثلاثة مباحث:

الأول: التغيرات السياسية في مصر ومَكَّة واليمن.

الثاني: تبادل الحملات العسكرية بين اليمن ومصر: سيتناول الاستعداد للحرب من قبل الطرفين، تبادل الحملات العسكرية ونتائجها، محاولة مصر استعادة نفوذها علي اليمن. وتصميم اليمن على إنهاء النفوذ المصري من الحجاز، محاولات مصر الأخيرة الاحتفاظ بنفوذها على الحجاز.

الثالث: مَكَّة في ظل الحُكْم اليمني (639-647هـ/1242-1249م): وفيه سيتم معالجة: إزالة النفوذ المصري من مكة. مَكَّة تابعة للحكم اليمني.

وذيلت الدراسة بخاتمة اشتملت على أهم النتائج التي خلصت إليها.

المبحث الأول: التغيرات السياسية في مصر ومَكَّة واليمن:

لابد من إلقاء نظرة سريعة على الأوضاع السياسية وتغيراتها في كلٍّ من (مصر، ومَكَّة، واليمن)، التي سبقت العقد الرابع من القرن السابع الهجري/الرابع عشر الميلادي – مدة الدراسة-ليكون بمثابة المدخل المبين للتنافس والصراع المسلح في السيطرة على مكة.

زوال الخلافة الفاطمية في مصر وقيام الدولة الأيوبية:

كانت تتقاسم النفوذ الديني والسياسي للأمة العربية الإسلامية خلافتان هما: الخلافة العباسية (السنية) في بغداد، والخلافة الفاطمية (الشيعية) القاهرة، وكانت (مصر، والشام، واليمن، والحجاز) تتبع نفوذ الخلافة الفاطمية، واستمر هذا الوضع من بداية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي حتى منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، حينما ظهر الأيوبيون كقوة صاعدة بقيادة صلاح الدين، الذي تمكن من القضاء على الخلافة الفاطمية في مصر عام 568هـ/1172م، وسيطر على جميع البلدان التي كانت خاضعة لها بما فيها اليمن والحجاز، معلناً إعادة الخطبة للخلافة العباسية في تلك البلدان[1].

وعقب وفاة صَلَاح الدين عام 589هـ/1192م اختلف أبناؤه من بَعْده على خلافته، فأحدث ذلك شرخاً في البيت الأيوبي الحاكم[2]؛ تسبب في إضعاف قبضتهم على اليَمَن والحِجَاز، وعلى الرغم من أن الدولة الأيوبية تخطت هذه المرة محنتها بسلام، حينما تسلم حُكْمها الملك العادل الأيوبي عام 595هـ/1199م، إلا أنه ساهم في تقطيع جسدها الموحد، بتقسيمها بين أبنائه الثلاثة، فـ(مصر واليمن والحجاز) جعلها من نصيب ابنه الكامل محمد، وسلم حُكْم (الشام) لابنه المعظم عيسى، أما ابنه الثالث (الأشرف موسى) فقد أنابه على (خِلاط)[3].

وعلى الرغم من أن ذلك التقسيم كان غير واضح المعالم في جسد الدولة الأيوبية؛ لاتحاد ممالك الأبناء تحت قيادة والدهم (العادل)؛ لكنه أضحى بيناً بعد وفاته عام 615هـ/1218م، فلم تجتمع ممالك أبنائه من بَعْده على سلطان واحد ينضوي الجميع تحت قيادته؛ بل أخذ كل واحد منهم يتفرد بما تحت يده، فـ(الكامل) استقل بحُكْم مِصْر واليَمَن، و(المعظم) استقل بممالك الشام وما يتبعها، وكان ذلك مدعاة للانقسامات والخلافات التي أصابت البيت الأيوبي، ليتطور حينها إلى عداء صريح جرجر جميع قادته للاقتتال الداخلي الضاري[4].

ولعدم انتصار أي من الطرفين المتحاربين صارا ينشدان دعم ألد أعداء دولتهما، فـ(القَاهِرَة) بملكها الكامل استعانت بـ(الصليبيين)، مقابل التنازل لهم عن بيت (المقدس)، و(دمشق) بمعظمها استنجدت (بجلال الدين خوارزم شاه) في بلاد فارس، ووثقت علاقتها به وتحالفت معه ضد ملك مصر الكامل[5].

لقد عجل ذلك الصراع المدمر بين الأخوين ملك مِصْر الكامل، وملك الشام المعظم في ضعف الدولة الأيوبية واضمحلالها، وهي لا تزال في ريعان شبابها وعزها، فسلاطينها أضحوا غير قادرين على إعادة لحمتها، ودرء الأخطار المحدقة بها، بل إن كل واحد منهم صار عاجزاً عن حفظ ما تحت يده من بلدان، والتي أخذت تدير ظهرها عنهم، وتعلن الخروج

عليهم، وخير مثال على ذلك ولاية (اليَمَن) التابعة لملك مصر الكامل، والتي أعلنت انفصالها، وصارت تنافسها في النفوذ والسلطة على الحجاز، كما سيأتي لاحقاً

علاقة مصر الأيوبية بإمارة مَكَّة:

تمكن (الأشراف السُّلَيْمَانِيون) من الاستقلال بحُكْم مَكَّة في منتصف القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[6]، ثم انتقلت سلطتها للأشراف (الْهَوَاشِم)[7]، وظلوا يتعاقبون على إمارتها حتَّى العقد الأخير من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، بدعم ومساندة الخِلافَة الفاطمية في مِصْر في أغلب فترات حُكْمهم[8].

وبَعْدَ زَوَال الخِلافَة الفاطمية في مِصْر على يد صَلَاح الدين عام 567هـ/1172م، عمل على فرض نفوذ دولته على اليمن والحجاز، إذ بعث عام 569هـ/1174م بحملة عسكرية بقيادة أخيه تورانشاه، وفي طريقها إلى اليمن توقفت في مَكَّة، ففر منه أميرها عيسى بن فليتة خارج مَكَّة، غير أنه ما لبث أن عاد واستقبل قائد الحملة، معلناً الولاء والطاعة لصلاح الدين، وداعياً له من منبر المسجد الحرام[9]، وبذلك مدَّ صلاح الدين نفوذ دولته على مَكَّة.

ومن الملاحظ أن ذلك النفوذ الذي فرضه صلاح الدين على مَكَّة، كان (نفوذاً شكلياً)، بذكر اسمه في الخطبة، فلم يعمد إلى ربط مَكَّة بسلطته المباشرة، أو بنائبه على اليمن، وهذا ما جعل أميرها الجديد مُكْثِر بن فَلِيتَة (571-597هـ/1175-1200م)، يتحرك بحرية تامة في إدارة شئونها[10]، كما أنه كان يقدم اسمه في الخطبة، ثم الدعاء للخليفة العباسي، ويذكر صلاح الدين في الأخير[11]، وبهذا العمل يكون قد قلل من مكانة صلاح الدين وجهوده في مقارعة الخطر الصليبي الذي يتهدد الأماكن المقدسة في الحجاز.

لذلك بادر صَلَاح الدين إلى انتزاع مَكَّة من يد أميرها مكثر، حينما أمر نائبه على اليمن طُغْتِكين عام 581هـ/1185م بالتوجه صَوْب مَكَّة لتأديب صاحبها، فزَحَفَ نحوها، و((استولى عليها، وخطب بها لأخيه صَلَاح الدين، وضرب الدراهم والدنانير باسم أخيه، وقتل جماعة من العبيد كانوا يؤذون الناس، وشرط على العبيد أن لا يؤذوا الحُجّاج، ومنع من الأذان بحي على خير العمل))[12]، وبذلك صارت مَكَّة تحت السلطة الأيوبية المباشرة.

ومن المؤكد أن صَلَاح الدين كان يَرْغَب في إزاحة الأشراف نهائياً من حُكْم مَكَّة، وإلحاق إدارتها بدولته، لكن الخليفة العباسي النَّاصِر[13] وقف حائلاً أمام ذلك، بدليل أنه طلب منه إعادة مُكْثِر عليها، فأعاده عليها، وهو الأمر الذي أبقاه على رأس مَكَّة تحت إشراف ومراقبة مباشرة من نائبه على اليمن طُغْتَكين[14].

لكن النفوذ الأيوبي في الحجاز بدأ يضعف بشكل كبير، نتيجة الاضطرابات التي نشبت في جسد الدولة الأيوبية في مصر والشام واليمن، بعد وفاة مؤسسها صلاح الدين عام 589هـ/1193م، ومن بعده توفي نائبه على اليمن طُغْتَكين عام 593هـ/1197م، وهذا ما مكن قتادة بن إدريس من الظهور على مسرح الأحداث السياسية في الحجاز، فاستولى على قلعة (يَنْبُع) ووادِيها[15]، ثم زحف نحو مَكَّة عام 597هـ/1201م وانتزع حكمها من يد (الهواشم)، وبالتالي انتقلت أمارة مَكَّة إلى يد الأشراف (بني قتادة)[16].

استمر قَتَادَة على رأس إمارة مَكَّة عَقْدَيْن من الزمان، تمكن خلالها من توسيع نفوذه في الحجاز، كما أنه ومنذُ الوهلة الأولى من حكمه لمَكَّة أظهر استقلاله التام عن الأيوبيين، بدليل أن خطيب الحرم المكي كان ((يَخْطُب للخليفة النَّاصِر، ثم يَخْطُب لنفسه بالأمير المَنْصُوْر))[17]، وبهذا العمل خرجت مَكَّة وأعمالها عن النفوذ الأيوبي نهائياً.

ظل قتادة يحكم إمارة مَكَّة بصورة مستقلة بعيداً عن الدولة الأيوبية، لما يربو على خمسة عشر عاماً، لكنها (أي الدولة الأيوبية) في عهد ملكها العادل أيوب عمدت إلى استعادة نفوذها على الحجاز، إذ بدأ تحركها عام 611هـ/1223م حينما قامت بدعم أمير المدينة سالم بن قاسم بن مهنا الحسيني عسكرياً في حربه مع أمير مَكَّة قتادة[18]، كما بعثت في العام التالي 612هـ/1215م بحملة عسكرية كبيرة إلى اليمن بقيادة الملك المسعود، لضبط أوضاعه المضطربة، وفي أثناء عُبُور الحَمْلَة أرض الحِجَاز (مَكَّة)، أبدى أميرها قَتَادَة تَخَوّفاً كبيراً منها، إذ أخذ يحشد أتباعه وجنده لمنعها من دخول مَكَّة، لكن المَسْعُوْد عرف وجهة حَمْلَته، فسمح له بالنزول فيها؛ بعد أن أغدق عليه وعلى أهلها الأموال التي قدرت بثلاثة آلاف دينار، فما كان من أميرها إلا أن أعلن الخطبة باسم المَسْعُوْد لذلك العام[19].

وعلى الرغم من أن إحدى مهام حَمْلَة المَسْعُوْد هي إخضاع أمير مَكَّة قَتَادَة لتَبَعِيَّة دولته، إلا أن الأولوية لديها تقتضي إنقاذ الوجود الأيوبي المتهالك في اليَمَن، ولهذا تركت الحَمْلَة مَكَّة على حالها، وانحدرت صَوْب اليَمَن[20].

ولمعرفة الدولة الأيوبية في مصر أن مهمة قواتها في اليَمَن شَاقَّة، قد تستغرق أعواماً، حركت أسطولها البحري عام 613هـ/1216م إلى سواحل الحِجَاز، فاسْتَحْوذ على مدينة (يَنْبُع) من أيدي نواب قَتَادَة، وبفرض سيطرتها عليها أصبح - ولأول مرة- للدولة الأيوبية مراتب عسكرية في بلاد الحِجَاز[21]، تعمل على تعزيز وجودها المباشر في الحِجَاز، مع تأمين خطوط إمداداتها العَسْكَرية إلى اليَمَن، كما أنها عملت على تضييق الخناق على أمير مَكَّة قَتَادَة والضغط عليه؛ فكللت جهودها بالنجاح حِين سلم قَتَادَة أمره لسلاطينها، بإعلانه الخضوع والتَبَعِيَّة الكاملة لهم[22].

لكن إمارة مَكَّة ما لبثت أن اشتعلت فيها الفتن والصراعات، نتيجة مقتل أميرها قتادة عام 617هـ/1220م، على يد ابنه حسن، الذي انتزع الإمارة لنفسه، مع قيامه بقتل الأشراف، والتنكيل بهم وبأخوته، ومطاردة أخيه الأكبر راجح[23]، ولعجز

الأخير على منازلة أخيه، استجدى العون والمساعدة من ملك اليمن المَسْعُوْد[24].

وجد المَسْعُوْد من طلب راجح فرصة ثمينة لفرض سلطته المباشرة على مَكَّة، ففي أوائل شهر ربيع الأول من عام620هـ/1223م تقدم بجَحَافل عسكره من اليَمَن صَوْب مَكَّة، فدخلها بَعْدَ معركة قصيرة انتصر فيها على أميرها حسن بن قَتَادَة ورجاله[25]، وبتَوَقُّف المَسْعُوْد في مَكَّة، انْجَلَتْ عنها الفِتَن ((وكَثُر الجَلَبُ إلى مَكَّة في أيامه، وأمِنَت الطرق، وقلت الأشرار، لِعِظَم هيبته))[26].

ومن الملاحظ أن المَسْعُوْد بعد أن تملك مَكَّة، انقلب على وعوده لراجح بن قَتَادَة بتسليم إمارتها له، متعللاً بأخيه حسن الذي لا يزال مصدر خطر يتهددها، ولابد أن تستمر تحت حمايته ورعايته، ولهذا عين عليها نائباً له هو (نور الدين عمر بن رسول) يحفظها ويسير شئونها باسمه[27].

وبتعيين المَسْعُوْد نائباً له على مَكَّة، يكون قد أزاح الأشراف من حُكْمها، ولأول مرة منذُ تاريخ قيامهم بإمارتها منتصف القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[28]، بحيث أضحت مَكَّة تحت السلطة المباشرة لملك اليمن(المَسْعُوْد).

زوال الحكم المصري الأيوبي من اليمن وقيام الدولة الرسولية:

من أسباب اندفاع صلاح الدين إلى غزو اليمن والسيطرة عليه، موقعه الجغرافي المتميز الذي يشرف على البحر الأحمر، وخليج عدن، وباب المندب؛ وهذا منح اليمن ميزة التحكم بطرق التجارة بين مصر والشام وجنوب شرق آسيا، فضلاً عن أتصال أراضي اليمن بأراضي المقدسات الإسلامية في الحجاز.

لهذا بعث صلاح الدين من مصر حملة عسكرية إلى اليمن عام 569هـ/1174م، بقيادة أخيه توارنشاه، فتمكنت من الاستحواذ على غالبية الأراضي اليمنية، لتصبح تابعة لمصر الأيوبية، تحكم بصورة مباشرة من عاصمة الدولة (القاهرة)، بواسطة أفراد من البيت الأيوبي، وكان آخر من تملكه منهم (المَسْعُوْد)، بتكليف من والده ملك مصر الكامل عام 612هـ/1215م على رأس حملة عسكرية كبيرة[29].

وبالقوة العَسْكَرية التي هبطت اليمن بقيادة المَسْعُوْد استطاع السيطرة على كامل أراضيه؛ بل ومد نفوذه - كما سبق- إلى مَكَّة، وبَعْدَ ثمانية أعوام من ملكه له، عاد إلى مصر لزيارة والده الملك الكامل عام 620هـ/1223م، مسلماً حكم اليَمَن في غيابه لأبناء (رسول)[30]، وعقب عودته من مصر إلى اليَمَن عام 624هـ/1227م، اعتقل أبناء رسول، ليساقوا مقيدين إلى القاهرة[31]؛ مستثنياً منهم: نور الدين بن رسول؛ لما بينهما من المودة، ولاتصافه بحسن السياسة والإخلاص له، لذا جعله المَسْعُوْد أستاذ داره، وقائد عسكره[32].

وفي عام 626هـ/1229م عزم المَسْعُوْد على تَرْك اليَمَن، والذهاب إلى الشَّام لاستلام حُكْمه، لخلوه من ملك عمه (المعظم عيسى)، مسلماً اليمن لنور الدين بن رسول يحكُمُه بالنيابة عنه[33]، وفي أثناء تقدم المَسْعُوْد صَوْب الشَّام وافاه الأجل في مَكَّة[34]، وبموته انفتح أمام نائبه على اليَمَن نور الدين بن رسول طريقٌ ناجحٌ لتملكه بعيداً عن أيوبي مِصْر، ولِبُعْدِ نظره لم يتعجل إعلان ذلك؛ بل ظل يستمد سلطته عليه من سلطان مِصْر الكامل لعامين، وتأكيداً على تبعيته له بَعَث بسفارة محَمْلَة بالهدايا والتحف والأموال يعزيه بوفاة ابنه المَسْعُوْد، ومطالباً منه تنصيبه نائباً له على حُكْم اليَمَن[35].

ونظراً لعجز سلطان مصر الكامل الواضح عن إرسال أحد أفراد الأسرة الأيوبية على رأس حملة عسكرية لحُكْم اليَمَن، استجاب مضطراً لطلب نور الدين بن رسول تنصيبه نائباً له على اليَمَن، وهو الأمر الذي هيأ له إعادة ترتيب أوضاعه الداخلية، والتي مهدت له الطريق لأن يعلن في أواخر عام 628هـ/1231م خلع طاعة سلطان مِصْر الكامل، منهياً بذلك الحُكْم الأيوبي المِصْري على اليَمَن، ليقيم على أطلاله (الدولة الرسولية) [36].

إن التغيرات السياسية التي حصلت في اليمن باستقلاله عن الحكم المصري، مهدت الطريق إلى تبدل علاقته الخارجية بمصر، من ولاية تابعة لحكمها، إلى مملكة مستقلة بذاتها تنافس مصر نفوذها في الحجاز، مما جعل العلاقة بين البلدين تتسم بـ(العداء المسلح)، وهذا ما سيتم مناقشته في المبحث الآتي تباعاً.

المبحث الثاني: تبادل الحملات العسكرية بين اليمن ومصر:

بَعْدَ الحديث عن تغير الأوضاع السياسية في مصر، وما انعكس عنها من تغيرات سياسية في مَكَّة واليمن، ينقل الحديث إلى وقائع (التنافس المصري اليمني في لسيطرة على مَكَّة).

الاستعداد للحرب وتبادل الحملات العسكرية:

عَدَّ سلطان مِصْر الكامل ما قام به نائبه على اليَمَن (نور الدين بن رسول) من خلع طاعته، وتملكه إياه أواخر عام 628هـ/1231م، تمرداً وخروجاً عنه، ولهذا يتوجب عليه سرعة معاقبته، وبما يحفظ له نفوذه على اليمن والحجاز، وفي سبيل ذلك قام بعدة خطوات منها:

1- فصَل تبعية حكم مَكَّة لليَمَن حينما ربطها بحكمه في مصر مباشرةً[37].

2- أَرسَلَ تعزيزات عسكرية إلى مَكَّة عام 629هـ/1232م لدعم قواته هناك؛ وكمقدمة لحَمْلَة عسكرية على اليَمَن لاستعادة السيطرة عليه[38].

3- وَطّدَ تحالفه مع (أمير المدينة[39]، وأمير يَنْبُع)[40]، بدعمهما مادياً وعسكرياً؛ ليكونا عوناً لقواته في الحجاز في حال هوجمت من اليمن[41].

4- حَصّن المراتب العسكرية في الحِجَاز، وزودها بما تحتاجه من مؤن وجند؛ لاسيما قلعة (يَنْبُع) التي تحولت إلى مركز إمداد للقوات المِصْرية، سواءٌ تلك التي كانت في اليَمَن (سابقاً)، أو التي في الحِجَاز (حالياً)[42].

5- ظل متمسكاً بحكمه لليمن دون الاعتراف بخروج تبعيته عنه، بدليل أن خطيب المسجد الحرام في مَكَّة عام 629هـ/1232م ختم خطبته بالدعاء لسلطان مِصْر الكامل بقوله: ((صاحب مَكَّة وعبيدها، واليَمَن وزبيدها، ومِصْر وصعيدها، والشَّام وصناديدها، والجزيرة ووليدها، سلطان القبلتين، ورب العلامتين، وخادم الحرمين الشَّرِيفين))[43].

تلك هي الخطوات التي قام بها سلطان مِصْر الكامل من أجل حماية نفوذه على الحجاز تمهيداً لاستعادة سلطته على اليمن. أما ملك اليَمَن نور الدين عمر بن رسول، الذي تلقب بـ(المنصور)، فقد كان يراقب تحركات مِصْر، ويُعِدُّ العُدَّة لمواجهتها، فوجد أن خير وسيلة للدفاع عن دولته هي (الهُجُوم)، أي مهاجمة القُوَّات المصرية المتمركزة في الحِجَاز؛ كون ذلك سيحقق له مكاسب عدة منها:

1- منع وصول الإمدادات العَسْكَرية من مِصْر إلى أتباعها من القادة والجند في اليَمَن، كون الحِجَاز يُعَد المَعْبر الوحيد للحملات والتعزيزات العَسْكَرية المِصْرية الغازية لليمن[44].

2- تحْويلُ الحِجَاز إلى خط الدفاع الأمامي لأي هجوم مِصْري محتمل على اليَمَن؛ بينما اليمن يصبح مركزاً تنطلق منها الحملات والإمدادات العَسْكَرية لقواته المحاربة في الحِجَاز[45]، مع نَقْل ساحة المعركة من داخل اليمن إلى خارج حدوده، بهدف تعبئة الداخل وتوجيه اهتمامه صَوْب المعركة في الحِجَاز، كما أن نقل المعركة سوف يساهم كثيراً في الحفاظ على تماسك الداخل ضد عدو خارجي[46].

4- إشْغال القُوَّات المصرية في الحِجَاز حتَّى يتمكن ملك اليَمَن المنصور من استكمال فرض سلطته عليه، وتثبيت أركان مملكته؛ مع نيل شرعية حُكْمه من قبل الخِلافَة العباسية في بغداد[47].

5- تحويل الحَرْب إلى حرب استنزاف للطرف المصري، كونه سيعاني من بُعْدِ المسافة بين مركز القيادة (القَاهِرَة)، وبين أرض المعركة (مَكَّة)[48]، بعكس اليمن الذي لا تفصله بأرض المعركة سوى حدود برية قريبة جداً.

6-احتضن ملك اليمن راجح بن قَتَادَة، صاحب الحق الشرعي في إمارة مَكَّة، والذي أبعده المَسْعُوْد عنها عام 620هـ/1223م؛ وكون راجح من الشخصيات المؤثرة التي ستلقى قبولاً لدى الحِجَازيين[49]، وكورقة قوية في يده يقاوم بها الوجود المصري في الحِجَاز.

بعد تلك الترتيبات من الجانبين سارع سلطان مصر الكامل إلى تنفيذ خطته -السالف ذكرها-حينما هَبَّ مع شروع عام629هـ/1232م إلى إرسال تعزيزات عسكرية إلى مَكَّة بقيادة شجاع الدين طُغْتِكين[50]؛ وكانت تلك التعزيزات بمثابة مقدمة لحَمْلَة عسكرية على اليَمَن للقضاء على نائبه (المتمرد) واستعادة السيطرة عليه.

وأمام التَحرُّك العَسْكَري المِصْري عمل -كذلك- ملك اليَمَن على تنفيذ خطته الدفاعية، إذ جهز حملة عسكرية في نفس العام بقيادة (ابن عَبْدان)، لمهاجمة القُوَّات المصرية المتمركزة في مَكَّة[51]؛ وحتَّى يكتب للحملة النجاح أُسْنِدت قيادتها (العامة) إلى راجح بن قَتَادَة؛ وعند مشارفة الحملة على مَكَّة توقفت للاستراحة وتدارس خطة دخولها[52].

أما القُوَّات المصرية الجاثمة في مَكَّة، فبَعْدَ سماعها زَحْف القُوَّات اليَمَنية عليها، قرر واليها شجاع الدين طُغْتِكين الدفاع عنها، إذ حَشَد جنده، وحثهم على القتال، كما ((بَعَث على الأماثل من أهل مَكَّة، والوجوه والأعيان، وتوثق منهم، بأن يكونوا من جملته، وأجرى عليهم جرَايَات))[53]، وأخذ منهم العهود والمواثيق على نصرته[54].

وأمام ذلك التكتل برز دور راجح بن قَتَادَة في تفكيكه، إذ قام بمراسلة أعيان مَكَّة مستجدياً إياهم الوقوف إلى جانبه في استرداد إمارته المسلوبة منه، مبيناً لهم أن القُوَّات اليَمَنية المصاحبة له ما هي إلا داعمة له ومساندة، مذكراً إياهم بَعْدَل ملك اليَمَن المَنْصُوْر، أيام ما كان نائباً على مَكَّة من قبل المَسْعُوْد عام 620هـ/1223م[55].

وبتلك المراسلات نجح راجح في تفكيك تكتل أعيان مَكَّة حول والي مِصْر؛ ليقع في ائتكاسة كبيرة أجبرته على الفرار للنجاة بنفسه وبجنده؛ تاركاً مَكَّة للقُوَّات اليَمَنية التي دخلتها في ربيع الآخر من عام 629هـ/1232م دون قِتَال[56].

يتبين من خلال هجوم القوات اليمنية على مَكَّة أن نتائجها لا تقارن بما حققته من انتصار على القُوَّات المصرية لاستيلاء عليها؛ بل بقدر ما حققته من مكاسب معنوية لملك اليمن المنصور، فلأول مرة صار يخطب باسمه من على منبر الحرم المكي دون سلطان مصر، فصار ملك قبلة المسلمين، وخادم الحرمين الشريفين في نظر المسلمين =، كما أن ذلك الهجوم كشف مدى الضعف الذي حل بأيوبيي مصر وقواتهم في الحِجَاز، وفي المقابل ظهور ملك اليَمَن كقوة متماسكة قادرة على صد أي هجوم عليه من قبل مِصْر، والأهم من ذلك أن ملك اليَمَن نجح في نقل المعركة بينه وبين مصر من داخل اليمن إلى الحِجَاز، ليصير بَعْدَ ذلك الحجاز ساحة للعمليات العسكرية بين اليمن ومصر، على مدى عشرة أعوام متتالية.

بعد فرار شجاع الدين طُغْتِكين وجنده من مَكَّة التجأ إلى قلعة (يَنْبُع) للتحصن فيها، ومنها بعث برسالة إلى سلطان مِصْر الكامل يخبره باستيلاء اليمن على مَكَّة، وحال اطلاعه على فحوى الرسالة جهز حَمْلَة عسكرية بكامل عتادها الحَرْبي والمالي عام629هـ/1232م، بقيادة (فخر الدين بن شيخ الشيوخ)، وساقها إلى الحجاز[57].

كما أن سلطان مصر الكامل أراد أن يلقن ملك اليَمَن المنصور درساً قاسياً في الحجاز، حتَّى لا يتجرأ مرة أخرى على مهاجمة قواته هناك، بدليل تلك الحشود العسكرية الكبيرة التي قام بتجهيزها لخوض المعركة مع القوات اليمنية في مَكَّة، فإلى جانب الحَمْلَة العسكرية التي بعثها من (القاهرة) حشد معها قواته

التابعة له في (يَنْبُع)، مع جميع رجال حليفيه صاحبي (يَنْبُع والمدينة) [58].

وحينما وصلت الحملة العسكرية القادمة من القاهرة إلى ميناء (يَنْبُع)، التحم بها أجناد الحجاز المنتظرة لها، ومن يَنْبُع زحفت تلك الجحافل العسكرية صوب مَكَّة بقيادة فخر الدين بن شيخ الشيوخ في رمضان عام 629هـ/1232م، فأوقعت بالقوات اليمنية مقتلة عظيمة، حتى قائد الحامية ابن عَبْدان لم ينجُ من القتل[59].

وبتلك الهزيمة الفادحة التي تلقاها أهل مَكَّة والقوات اليمنية، استعاد سلطان مِصْر الكامل سلطته عليها، ليتولى أمرها واليها –السابق-شجاع الدين طُغْتِكين؛ إلا أن عودته كانت وبالاً على مَكَّة وأهلها وأعيانها الذين خذلوه في السابق، إذ ترك مَكَّة عرضة للنهب والسلب ثلاثة أيام، كما نكل بأعيانها وعذبهم، ليصل تنكيله إلى كبار علماء الحرم المكي الذين شكوه لسلطان مِصْر[60].

وعلى الرغم من هزيمة القوات اليمنية على يد القوات المصرية؛ إلا أن ملك اليمن المنصور قد نجح في نقل المعركة بينه وبين سلطان مصر الكامل إلى الحجاز، ليتفرغ بعدها لتثبيت سلطته واستكمال مظاهر استقلاله باليمن، ولهذا اسند إلى راجح بن قَتَادَة مقارعة التحرك المصري في الحجاز، كونه صاحب الحق الشرعي في حفظ إمارته على مَكَّة، قاصراً دوره على دعمه عسكرياً ومادياً.

ومن ذلك المنطلق بعث الملك المنصور في مطلع عام 630هـ/1233م بجيش قوامه سبعمائة فارس، وأربعة آلاف راجل، وخزانة مالية كبيرة إلى راجح بن قتادة، بهدف إخراج القوات المصرية من مَكَّة واستعادة سلطتها، وأمام ذلك المدد الكبير مع ما جمعه من عرب الحجاز، قرر أميرها من قبل مصر الخروج ((بأصحابه من مَكَّة سالماً، وتحصّن بالينبع، وتسلم راجح مَكَّة سلماً))[61].

كان رد سلطان مِصْر الكامل في هذه المرة بطيئاً بعض الشيء؛ بدليل أنه لم يحرك قوات عسكرية صوب مَكَّة إلا بَعْدَ عشرة أشهر، أي في شوال من أواخر عام 630هـ/1233م حِينما جهز جيشاً قوامه سبعمائة فارس بقيادة (علاء الدين آق الزاهدي)، وجعل خروج الجيش متزامناً مع ركب الحاج المِصْري[62].

ويبدو أن سلطان مِصْر الكامل أراد من خروج جَيْشِه بالتزامن مع موسم الحَجّ، ظهوره بمظهر القوي أمام الحُجّاج المسلمين؛ وليقينه أن القوات اليمنية التابعة لراجح بن قتادة، المتمركز في مَكَّة لن تقاوم لاعتبارات دينية (حرمة الْبَلَد الحرام، موسم الحَجّ، والأشهر الحرم)؛ ولهذا نجد الجيش المِصْري عندما اقترب من مَكَّة غادرتها القُوَّات اليَمَنية؛ ليدخلها بالرَّايَة المِصْرية التي حَجّت بالأمة هذا العام، دون حوادث تذكر[63].

وعقب الانتهاء من مناسك الحَجّ احتفظ سلطان مِصْر الكامل بمَكَّة بتعيينه (ابن مجلي) والياً عليها، مع حامية عسكرية، الأمر الذي منع راجح بن قَتَادَة من العودة لإدارة شؤونها، فما كان منه إلا أن طلب المَدَد المادي والعَسْكَري من ملك اليَمَن المنصور، وبذلك المَدَد تمكن من طرد الوالي المصري على مَكَّة ابن مجلي في ذي القعدة من عام 631هـ/1234م مسترداً سلطته عليها ليحج بالراية اليمنية[64].

مصر تحاول استعادة سلطتها على اليمن:

تأكد لسلطان مصر الكامل بَعْدَ تلك الجولة الحَرْبية التي خاضها في الحِجَاز مع ملك اليَمَن المنصور، أن اليَمَن أصبح مركزاً تنطلق منه الإمدادات والحملات العَسْكَرية، لمهاجمة قواته في الحجاز، فانتابه القلق حيال مستقبل نفوذه على الأماكن المقدسة هنالك، الأمر الذي دفعه لأن يفكر بجدية في وضع حد لمصدر التهديد، بل وإزالته نهائياً، ولن يَزُول ذلك إلا باستعادة سلطته المباشرة على اليَمَن، ليكون -كما كان في السابق-مركزاً عسكرياً لمصر يحفظ لها السيادة والنفوذ على الأماكن المقدسة في الحِجَاز[65].

وتنفيذاً لهذه المهمة الصعبة اختار السلطان الكامل واحداً من أشجع فرسانه للقيام بتنفيذ المهمة، وهو أحد مماليكه الأمير أسد الدين جُفْرِيل بن عبد الله[66]، الذي ترك له حرية اخْتِيَار أفراد جَيْشِه، فانتقى ألفي فارس من أشجع فرسان مِصْر، كما عين أربعة معاونين له من كبار القادة هم: وجْهُ السبع، والبندقي، وابن أبي ذكرى، وابن بِرْطاس[67].

وحال سماع ملك اليمن المنصور بتلك التحركات التي يقوم بها سلطان مصر قرر مواجهتها، وفقاً لخطة تقوم على عرقلة الحَمْلَة المصرية من الولوج إلى اليمن، تجنباً لوقوعه في فتنة داخلية قد تشعلها تلك القوة، ولهذا أبلغ حليفه رَاجِح بن قَتَادَة في مَكَّة بالحَمْلَة ووجهتها، مع حثه على تشديد الجهة، وحشد القوى الموجودة معه لمواجهتها[68]، كما أرسل تعزيزات عسكرية لحاميته في مَكَّة بقيادة (ابن النُّصَيْر) مزودة بخزانة مالية كبيرة[69]، فضلاً عن تسييره مراكب عسكرية إلى البحر الأحمر لتعترض سير الحَمْلَة قبل نزولها أرض الحِجَاز لإلحاق الخسائر في صفوفها[70].

أما الحَمْلَة المِصْرية فبعد إبحارها البحر الأحمر إلى ميناء (جدة)، ومنه براً إلى مَكَّة، فوجدت مكة خَالِيَة بعد انسحاب راجح بن قتادة وقواته، لتدخلها بسلام في رمضان عام 632هـ/1235م، دون قتال، لانسحاب أميرها راجح والقوات اليمنية[71].

وبَعْدَ أن استراحت الحَمْلَة المِصْرية في مَكَّة أخذت تتهيأ لغَزْو اليَمَن؛ لكنه (أي اليَمَن) فوت عليها فرصة التقدم نحوه، إذ بعث بتعزيزات عسكرية أخرى لقواته التي تراجعت إلى جنوب مَكَّة على مسافة ثلاث مراحل، يقودها (الشهاب بن عبْدان)، وفور وصوله إليها، اندمجت كل القوات تحت قيادته، إذ أخذ يعبئها ويشد من عزيمتها استعداداً لخوض معركة دفاعية مع القوات المصرية الزاحفة صوب اليمن، فدارت معركة صعبة، أَفْنَيَتْ فيها غالبية القوات اليَمَنية، نتيجة ما

أبدته من مقاومة شديدة، كما أسر فيها قائدها الشهاب بن عبْدان، وتم إرساله مقيداً إلى القاهرة[72].

وعلى الرغم من الضربات المتلاحقة والموجعة التي تلقتها القُوَّات اليَمَنية المحاربة في الحِجَاز على يد الحَمْلَة المِصْرية، إلا أنها نجحت في عَرْقلة تقدمها صوب اليَمَن، بدليل أن المصادر التي تناقلت أخبار الحَمْلَة المِصْرية منذ خروجها من مصر، حتى معركتها مع القوات اليَمَنية، جنوب مَكَّة توقفت ولم تعد تذكر خبرها[73]، وسُكُوتها يعني عدول الحملة عن أداء مهمتها الرئيسية في غزو اليَمَن.

ويبدو أن سبب تراجع الحملة المصرية عائد إلى الضعف والوهن الذي أصاب مقاتليها، نتيجة ما عانوه من مشاق السفر، وما تلقوه من ضربات هنا وهناك قامت بها القوات اليمنية المدافعة في البر والبحر، ولهذا اكتفى قائدها (جفريل)، بتلك الانتصارات التي حققها على القوات اليمنية من مَكَّة، ليعود بجنده إلى مَكَّة لحمايتها وإدارة شئونها.

ملك اليمن المنصور يَسْتَعِيد مَكَّة:

لقد اطمأن ملك اليَمَن المَنْصُوْر إلى عدم قدرة الحَمْلَة العَسْكَرية المِصْرية على غَزْو اليَمَن، ولهذا التفت إلى معالجة المشاكل الداخلية التي استجدت أثناء انشغاله بالصراع الدائر في مَكَّة[74]، وبَعْدَ أن تخلص منها عام 635هـ/1238م عمل على وضع حد لتلك القوات المصرية الجاثمة في الحجاز بقيادة جُفْرِيل التي ألحقت بقواته هزيمة نكراء، فقرر مهاجمتها وإجلاءها من الحجاز نهائياً واستعادة سلطته على مَكَّة[75].

ولضمان تحقيق النصر السريع على الأمير جُفْرِيل وقواته؛ قاد المَنْصُوْر الحملة العسكرية بنفسه، كونه يمتلك من المهارات القيادية في إدارة المعارك الحَرْبية ما يمكنه من تحقيق النصر، وهذا بشهادة المؤرخين المتابعين لسيرته[76]، فالخزرجي يصفه بأنه كان[77]: ((ملكاً كريماً حاذقاً حليماً حسن السياسة سريع النهضة عند الحادث، وكان شريف النفس عالي الهمة، فارساً، شجاعاً، مقداماً، محراباً؛ لا يمل الحَرْب)).

وتبرز مهارات المَنْصُوْر القيادية منذُ الوهلة الأولى لإعداد جَيْشِه، إذ اختار ألف فارس من أكفأ فُرْسَانه، وجمع من العتاد والمؤن والأموال ما يكفي ضعف عدد جَيْشِه، وقبل تحركه نهض إلى تأمين خط سيره من أي عدو، من خلال بثه العيون على طول الطريق، كما أنفذ برسالة إلى راجح بن قَتَادَة يحثه على حشد الهمم، ومراقبة تحركات القُوَّات المِصْرية، مزوداً إياه بما يحتاج من أموال، ونفقات، وكسوة له ولجنده البالغ عددهم ثلاث مائة فارس[78].

وفي طريق تقدم المَنْصُوْر صَوْب مَكَّة تعمد نشر أخبار جَيْشِه وعظمته، مستخدماً في ذلك أسلوب الدعاية الإعلامية والحَرْب النفسية –إذا جاز التعبير- ضد القُوَّات المِصْرية وقائدها، بقصد النيل من معنوياتهم القتالية، مع نشر الخوف والرعب في صفوفهم، حتَّى لا يجرؤوا على ملاقاته، أو منازلته في ساحة المعركة[79].

كما استخدم المَنْصُوْر ضد الجيش المِصْري المرابط في مَكَّة سياسة التَّفْرِقَة، أو ما يعرف بـ(الخداع الحَرْبي)، إذ كلف من يقوم بِنَسخ رسائل على ألسنة بعض القادة المِصْريين إلى المَنْصُوْر، متعمداً وصول بعض من تلك الرسائل إلى قائدهم جُفْرِيل، ويشير إليها ابن حاتم بقوله[80]: ((أنها كتب على صورة جواب من الأمراء الذين معه إلى الشهيد (المَنْصُوْر)، بتعريفه أنهم من جملته، وأنهم يأسرون له جُفْرِيل، فلما وقف جُفْرِيل على الكتب أحضر الأمراء وأوقفهم عليها، فأنكروا ذلك، واقسموا الأيمان المغلظة أن ذلك لم يكن منهم، ولا علموه، وأن هذا أمر مصنوع، فلم يقبل ذلك منهم، وداخله الوهم، فلم يأمن))؛ وبهذه الوسيلة نجح المَنْصُوْر في نزع الثقة فيما بين القادة وأميرهم جُفْرِيل، فظن الأخير أنها حقيقة، وأن العَسْكَر قد فسدت نياتهم عليه[81].

وفوق هذا استخدم المَنْصُوْر سلاح المال، حيث أعلن على الملأ مكافأة مالية قدرها ألف دينار، وحصان، وكسوة، لمن يفر من القادة والجند المِصْريين إلى معسكره[82].

كل تلك الحيل الحَرْبية التي سوقها المَنْصُوْر ضد جُفْرِيل وقواته في مَكَّة؛ جعلتها تفقد توازنها؛ إلى حد أنها لم تَعُدْ قادرة على الخروج من مَكَّة لمجابهة القوة المهاجمة؛ ولا حتَّى التحصن بداخلها والدفاع عنها، وليس ذلك فحسب، بل إن الأمير جُفْرِيل قرر النجاة بنفسه، وبجنده الذين لا يزالون برفقته، بَعْدَ أن أحرق كل المؤن المخزنة في مَكَّة[83].

لقد تطايرت أخبار فرار الجُنْد المِصْريين وقائدهم جُفْرِيل من مَكَّة إلى مَسْمع المَنْصُوْر وجنده، وهو على بُعْدِ سبع مراحل منها، فعد ذلك أولى بشائر النصر، ولهذا حث خطى السير نحوها، فدخلها بقواته في تاسع رجب من عام 635هـ/1238م[84].

وبينما المَنْصُوْر وقواته في مَكَّة يحتفون بالنصر، كان الأمير جُفْرِيل وبقية جَيْشِه يجرون أذيال الهزيمة نحو الشمال، وعقب نزولهم في (المدينة) أتتهم الأخبار أن سلطان مِصْر الكامل توفي، فـ ((ندم كل من كانوا معه من العَسْكَر المِصْري؛ لعدم موافقتهم على العرض المغري الذي وهبه لهم المَنْصُوْر))[85].

وقبل أن يغادر المَنْصُوْر مَكَّة إلى اليمن أعفى راجح بن قَتَادَة من إدارتها حينما عين عليها ناصر الدين بن الوليد، وابن التعزي[86]، مع حامية عسكرية مكونة من مائة وخمسين فارساً تقوم بتأمينها وحفظها[87].

ويبدو أن النصر الذي حققه المَنْصُوْر على القُوَّات المِصْرية في مَكَّة كانت له أهمية كبيرة، بدليل تلك المشاعر الجياشة التي ظهرت على شكل احتفالات أقامها اليمنيون بعد عودة المَنْصُوْر إليهم، وما تلاها من وفود انهالت عليه بالأهازيج والقصائد الشعرية من كل حدْبٍ وصَوْب لتهنئته بذلك النصر والتغني به كقائد له[88].

محاولة مصر الأخيرة الاحتفاظ بنفوذها في الحجاز:

ظل اليَمَن متمسكاً بمَكَّة قرابة ثلاثة أعوم دون أن تتحرك مِصْر لاستعادتها لانشغالها بمشكلاتها الداخلية[89]، وبَعْدَ أن صار الصالح نجم الدين أيوب على رأس السُّلْطَة في مِصْر سنة 637هـ/1240م، كان من أولى اهتماماته إخراج الحامية اليمنية من مَكَّة، واستعادة السيطرة المصرية عليها، ولهذا الغرض بَعَث بألف فارس لأمير المدينة الأمير شِيحَة الموالي له للقيام بذلك[90].

ومن الملاحظ أن ترتيبات الهجوم المِصْري على مَكَّة كانت سرية ومتوارية عن أنظار اليَمَن وحاميته فيها، بدليل عنصر المفاجأة الذي أوقع مَكَّة ووواليها من قبل اليمن، في قبضة أمير المدينة شِيحَة، وهذا التفسير يتماشى مع ما أورده مؤرخ مَكَّة الفاسي في معرض ترجمته للأمير شِيحَة بقوله[91]: ((أنه وصل إلى مَكَّة في ألف فارس، جهزه الملك الصالح بن الملك الكامل صاحب مِصْر في سنة سبع وثلاثين وستمائة، وأخذها من نواب صاحب اليَمَن، ولزمهم شِيحَة، ونهبهم، ولم يقتل منهم أحداً، ولزم وزيره ابن التعزي)).

وبذلك الهجوم عاد الصراع اليمني المصري من جديد على مَكَّة، فلم تَكَد تصل أخبار ما حل بنواب المَنْصُوْر في مَكَّة وقواته حتى سارع إلى تجهيز حَمْلَة عسكرية جرارة مزودة بخزانة مالية كبيرة، بقيادة (ابن النصير)، وبمساندة راجح بن قَتَادَة تمكن من طرد الأمير شِيحَة من مَكَّة والاستيلاء عليها دون قتال عام 637هـ/1240م[92].

لم تستقر مَكَّة لليمن، فملك مصر الصالح أيوب بَعَث بمددٍ عسكريٍ وماليٍ لأمير المدينة شيحه عام 638هـ/1241م، وأمره بالرجوع إلى مَكَّة للحَجّ بالناس[93]، ولحرمة شهر الحج وموسمه حرصت الحامية اليَمَنية على عدم الاصطدام بها، مفسحةً المجال أمام شيحة وقواته لدخولها، وبَعْدَ انقضاء موسم الحَجّ احتفظت مِصْر بمَكَّة، وكالعادة ومن نفس السنة، أرسل اليَمَن تعزيزات عسكرية لراجح بن قتادة لاستعادة السيطرة عليها[94].

وأمام إصْرار اليَمَن على منازلة القُوَّات المِصْرية في الحِجَاز، أيقن ملك مِصْر (الصَّالِح أيوب) –كما أيقن من سبقه- أن تلك التهديدات والمخاطر التي تصدر من جانب اليَمَن لن تزول بكثرة التعزيزات العَسْكَرية التي تبَعَث بها مِصْر الواحدة تلو الأخرى إلى بلاد الحِجَاز، وإنما باجتثاث منبع الخطر الداهم من (اليَمَن)، ولن يتحقق ذلك إلا باستعادة سلطتها المباشرة عليه.

لذلك أصدر ملك مِصْر الصَّالِح أوامره في ربيع الأول من عام 638هـ/1241م بتجهيز حَمْلَة عسكرية كبيرة، وسفن بحرية إلى البحر الأحمر، استَعداد لغَزْو اليَمَن[95]، وفي أثناء سير الحَمْلَة في البحر استجدت أمور في مِصْر أجبرت ملكها الصَّالِح على استدعاء قواته المبحرة باتجاه اليَمَن إلى (القَاهِرَة)، مكتفياً بإيفاد نجدة عسكرية لقواته المرابطة في مَكَّة، عددها ثلاث مائة فارس، بقيادة مبارز الدين علي بن الحسين بن برْطاس، يسانده مجد الدين أحمد بن التركماني، فكان هذا المدد عائقاً أمام راجح بن قَتَادَة، والقُوَّات اليَمَنية المرسلة إليه عن دخول مَكَّة[96].

المبحث الثالث: مَكَّة في ظل الحُكْم اليمني (639-647هـ/1242-1249م):

إن المتابع للحرب اليَمَنية المِصْرية في الحِجَاز؛ يتضح له غياب عنصر الحسم لأي من الطرفين المتحاربين، فالمَعَارِك اتسمت بالكَرّ، والفَرّ، والهُجوم، ومن ثم الهُجُوم المضاد، دونما صدام مباشر وضارٍ بينهما باستثناء معركتين فقط؛ وقد يعتقد البعض أن ذلك عائد إلى تراخي الأطراف المتحاربة، وعدم جديتها في حسم المعركة لأي منهما.

لكن المطلع على أوضاع مصر الداخلية التي سبق تناولها، يدرك أسباب ذلك التراخي، ولهذا جعلها غير قادرة على حسم المعركة لصالحها في الحجاز. بينما اليَمَن -بعكس مِصْر-اتحدت كلمته حِينما سكنت مشاكله الداخلية، وجفت عنه الأخطار الخارجية التي كانت دوماً تهدد استقراره، ليصبح وقتها في موقف قوي قادر على حسم معركته في الحِجَاز مع مِصْر لصالحه.

وأمام تحركات مصر الأخيرة في استعادة نفوذها على اليمن، مع إصرارها الاحتفاظ بسلطتها على مكة، من خلال التعزيزات العسكرية التي كانت ترسلها لحاميتها في مكة، مما وقفت حائلٍ أمام القوات اليمنية التي كان يبعث بها اليمن من أجل استعادتها، من ذلك أن ملك اليمن المنصور بعث سنة 629هـ/1242م بقوة عسكرية للشريف علي بن قتادة لاستعادة مكة، مما دفع بالحامية المصرية طلب النجدة من ملك مصر الصالح، فعززهم بمائة وخمسون فارساً، بقيادة مبارز الدين علي بن الحسين بن برْطاس، وبهذه التعزيزات تم التصدي للقوات اليمنية وردها[97].

ولهذا قرر ملك اليمن المنصور، وضع حد لتلك التهديدات، واستعادة مكة لسلطته، إذ قاد بنفسه حملة عسكرية كبيرة في شهر شعبان من عام 639هـ/1242م صوب مَكَّة[98]، مستخدماً الأسلوب نفسه والمهارات القيادية ذاتها التي انتهجها في قيادته للحَمْلَة العَسْكَرية عليها عام 635هـ/1238م من: دعاية إعلامية، وحرب نفسية، وخداع سياسي، وشراء قلوب القادة والجند المِصْريين المرابطين في الحِجَاز بالمال والأعمال[99].

وأمام ذلك اضطر الوالي المصري على مَكَّة مُبارز الدين بن برْطاس مغادرتها بمن تبقى معه من جند، بَعْدَ أن أمر بإحراق دار الإمارة بما فيها من عتاد، وذخائر، وسلاح، وأرزاق، وبذلك الخروج دخل المَنْصُوْر وقواته مَكَّة دون قتال في أوائل شهر رمضان من نفس العام[100].

لم يكتف المَنْصُوْر بالاستحواذ على مَكَّة، ومن ثم الرجوع إلى اليَمَن على جاري العادة، لكنه مكث فيها شهراً كاملاً، يثبت سلطته عليها، ولن يتحقق ذلك إلا بإزالة الوجود المصري من الحجاز نهائياً، ولتنفيذ ذلك قام بالخطوات الآتية:

1- عمل على تَفْتِيت وحدة القُوَّات المِصْرية في بلاد الحِجَاز عن طريق استمالة عدد من قادتها وجندها، وكان في طليعة من انضم للمنصور، والي مصر على مَكَّة مبارز الدين بن برطاس، ومعاونه محمد بن فيروز، فمثل ذلك ضربة قاصمة للوجود المِصْري في الحِجَاز[101].

2- أزال جميع المَرَاتِب العَسْكَرية التي كانت تتمركز فيها الحاميات المِصْرية، لاسيما قلعة (يَنْبُع)، إذ اشتراها المَنْصُوْر من صاحبها علي بن حسن بن قَتَادَة، وأمره بتدمير تحصيناتها حتَّى لا يبقى قرار للمِصْريين فيها[102]، كما عقد المَنْصُوْر معه تحالفاً جعله بموجبه ((مساعداً لنوابه بمَكَّة))[103].

3- أنشأ المَنْصُوْر عدداً من الرتب العسكرية المحصنة على الساحل البحري للحجاز، ورتب فيها حاميات عسكرية، مهمتها مراقبة أي تحركات عسكرية مِصْرية من البحر والتصدي لها، وفي هذا يقول الخزرجي[104]: ((وأمر بعمارة البرك، وهو جبل متصل بالبحر ما بين مَكَّة واليَمَن، ورتب فيها العساكر الجيدة لمحاربة بني أيوب)).

4- أنهى المَنْصُوْر أعماله في مَكَّة بتأمين طرق الاتصال بين الحجاز واليَمَن، فقد استمال الشيخ موسى بن علي الكَتَّانِي صاحب (حَلْي بن يَعْقُوب)[105] إلى جانبه، والذي كان يمثل إمارة مستقلة بذاتها بين اليَمَن ومَكَّة[106].

إصلَاحات ملك اليمن المَنْصُوْر في مَكَّة:

بعد تلك الأعمال التي قام بها ملك اليمن المنصور، أثناء توجده في مكة، تمكن من إزالة الوجود المصري نهائياً من الحجاز، لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ مكة في ظل الحكم اليمني، والتي استمرت زهاء ثمان سنوات، لهذا سيرتكز الحديث هنا عن: أوضاع مَكَّة الإدارية، والأمنية، والاقتصادية، والتجارية، والعلمية في ظل الحُكْم اليَمَني لها.

وكما ذكر سابقاً أن المَنْصُوْر تولى حُكْم مَكَّة عقب استيلاء المَسْعُوْد عليها عام620هـ/1223م، ففي أثناء ولايته عليها، أعاد بناء المسجد الذي أحرمت منه أم المؤمنين عائشة عام620هـ/1223م، وأصلح منبع الماء؛ وفي عام 623هـ/1226م أمر بعمارة دار أبي بكر الصديق. وبعد أن ملك المَنْصُوْر اليمن، بَعَث عام632هـ/1235م بقناديل مصنوعة من الذهب والفضة لتعلق على الكعبة المشرفة، بدلاً من تلك التي استباحها بنو قَتَادَة أثناء صراعهم فيما بينهم[107].

وحينما نجح المَنْصُوْر في حسم المعركة مع مصر لصالحه في الحِجَاز نهائياً عام 639هـ/1242م توقف في مَكَّة لإصلَاح شئونها، فاجتث عنها العبيد والمفسدين وقطاع الطرق، كما أزال عن كاهل أهلها ومن ولج إليها المظالم فألغى ((سائر المُكُوسات، والجبايات، والمظالم))[108]، وحرصاً منه على تطبيقه، أصدر فيها مرسوماً ملكياً، وأمر بتدوينه في (مَرَبَّعةٍ) أي قطعة مربعة من الرخام، ووضعها قبالة الحَجر الأسود في جدار (زَمْزَمَ)؛ ليطلع عليه أهل مَكَّة، ومن نزل فيها، للتقيد بتعاليمه دون أن يخالفه أحد[109].

وحتَّى لا يعُود ولاة مَكَّة وعمالها إلى جباية الأموال من أهلها ومن ارتادها، تحمل المَنْصُوْر نفقات إدارتها من خزينة دولته؛ فكان يبَعَث سنوياً خزائن مالية تصرف في مصارفها على دار الولاية، ورواتب الجند، وإصلاح السبل، وحفر الآبار، مع تسيير شؤون الحَجّ، وتعمير المدارس، والمساجد، فضلاً عن أنه كان يرسل سنوياً خزانة مالية إضافية كـ(صدقات) توزع على الفقراء والمحتاجين من أهل مَكَّة والمقيمين فيها[110].

وبخصوص الوضع الإداري لمَكَّة فإن المَنْصُوْر قرر استبعاد الشَّرِيف راجح بن قَتَادَة من مشاركته في حُكْمها نهائياً، إذ عين فخر الدين إياس الشَّلَّاح نائباً له عليها، وكلف إلى جانبه محمد بن فيروز، مع حامية عسكرية كافية تحفظ لمَكَّة أمنها واستقرارها[111].

تلك هي أهم الأعمال التي قام بها المَنْصُوْر في إصلاح شئون مَكَّة أثناء توقفه فيها، والباقيات منها أسندها لنائبه عليها الشَّلَّاح كما سنبين ذلك لاحقاً.

واستكمالاً للفائدة المرجوة من الدراسة، يتطرق الباحث لابد من إلى أوضاع الحِجَاز (مَكَّة) أثناء ولاية فخر الدين إياس الشَّلَّاح لها، ومن بَعْدِه واليها ابن المُسيب.

ولايـة الشَّـلَّاح علـى مَكَّـة (639-645هـ/1242-1247م):

الشَّلَّاح هو: فخر الدين إياس الشَّلَّاح، هكذا نطَقَتْ المصادر باسمه، دون أن تتطرق لحياته قبل أن يُعين والياً على مَكَّة عام 639هـ/1242م سوى وصفه بمملوك المَنْصُوْر[112]، وكان اختيار المَنْصُوْر له موفقاً، بدليل الأعوام السبعة التي قضاها في نيابته على مَكَّة بكفاءة واقتدار، وفي هذا يقول الجندي:[113] ((وترك مملوكه الشَّلَّاح نائبه، فقام بضبط الحِجَاز قياماً مرضياً؛ بحيث ابتنى بين المدينتين حصوناً، ورتب فيها الرتب، وبنى المصانع حتَّى آثار ذلك باقية إلى عصرنا))، أي عصر المؤرخ الجندي المتوفى عام 732هـ/1323م.

ونظراً لضبط الشَّلَّاح أمن الحجاز استعادت مَكَّة أمنها واستقرارها، وهذا ما جعل التجار يتدافعون عليها من أصقاع الأرض الإسلامية، بشتى أنواع السلع والبضائع، وعاد الخير كله إلى كل بيت من بيوتها، فانعكس ذلك على حياة الناس في مأكلهم وملبسهم وعمارة بيوتهم، وفي هذا يقول ابن حاتم:[114] ((وأقام الشَّلَّاح في مَكَّة سبع سنين ...، لم ير أهل مَكَّة مثلها في الخير، حتَّى كسبوا الأموال، وبنوا الدور، وحلوا الحريم بالذهب والفضة، وكانت أيامهم في هذه السنين مواسم وأعياداً))، وهذا ناتج عن الانتعاش الاقتصادي الذي شهدته مَكَّة[115].

وفي عهد ولاية الشَّلَّاح لمَكَّة رخصت أسعار الطعام بسبب المتاجر التي فتحها المظفر -ابن ملك اليَمَن-؛ لبيع الحبوب، وكلف المجد بن القاسم بالمتاجرة

فيها، والسفر لجلبها، وكان هذا ((من فعله يقع موقعاً عظيماً عند أهل مَكَّة، يرونه أعظم من موقع الصدقة، وبلغ الطعام عندهم بسبب هذا المتجر كل ستة أمداد بدينار))[116].

ونالت مَكَّة رعاية كاملة من قبل واليها الشَّلاَّح، لاسيما في الجوانب العلمية والثقافية، وبأمر من ملك اليَمَن المَنْصُوْر عام 640هـ/1242م أنشأ مدرسة في مَكَّة، عُرفت بالمدرسة المَنْصُوْرية ((بحيث يغبطه عليها سائر ملوك الأرض))[117]، ورتب فيها أيتاماً يتعلمون القرآن الكريم، ومعلماً، ومدرساً، وناظراً، وأوقف عليها أوقافاً تقوم بكفاية العاملين عليها، كما وجه بحفر بِئْر ماء بجوار المدرسة؛ لينتفع بمائها كل من كان في فِنَائها[118].

وزاد المَنْصُوْر على ذلك أن أمر نائبه الشَّلاَّح بإنشاء سبيل في مَكَّة، وكان سبيلاً مشهوراً؛ مع حثه على إصلاح المساجد وبنائها، إذ شيد المسجد الذي عند دار النحر في (مِنى) بين الجمرة الأولى والوسطى، وكذلك المسجد المعروف بمسجد (الهليلجة) عام645هـ/1247م، وكان الأخير على نفقة زوجة المَنْصُوْر، وحفر بجانبه بِئْر ماء خاصة بالمسجد[119].

والرِّبَاطَاتُ كانت لها حضور باعتبارها جانباً من جوانب أعمال الخير في مَكَّة، وبأمر من المَنْصُوْر لنائبه الشَّلاَّح قام الأخير عام 641هـ/1243م بتعمير رِبَاط للمتصوفة والغرباء عرف بـ(رِبَاط الشَّراني)[120].

والي مَكَّة الشَّلاَّح شيد مآثر تعليمية، من ذلك أنه بنى مدرسة من ماله الخاص، وجعلها وقفاً للفقهاء الشافعية والمحدثين، وأوقف عليها وقفاً ثرياً، ويفيد الفاسي أن الشَّلاَّح قام بإنشاء ثلاث مدارس في مَكَّة[121]؛ لا مدرسة واحدة.

خُلاصَة القول: إن مَكَّة في ظل الحُكْم اليَمَني لها، استعادت أمنها واستقرارها، وزال عن كاهل أهلها ومن نزل فيها الجور والعسف والظلم، وبالأمن وحده شهدت مَكَّة نشاطاً تجارياً واقتصادياً مزدهراً؛ انعكس ذلك على حياة الناس في مأكلهم، وملبسهم، ومسكنهم، كما انخفضت أسعار الطعام فيها، ليعم الخير كله إلى كل بيت من بيوتها، بحيث لم يبق فيها جائعٌ ولا معدمٌ ولا فقيرٌ.

كما اهتم والي مَكَّة الشَّلاَّح بالعلم والعلماء والمجاورين منهم، وشيد العديد من المساجد، والمدارس، والأربطة، والأعمال الخيرية التي تعود بالنفع على أهل مَكَّة خاصة، وعلى جميع المسلمين النازلين فيها عامة.

ولاية ابن المسيب على مَكَّة (646-647هـ/1248-1249م):

هو شمس الدين محمد بن أحمد بن المسيب اليَمَني، لم يعرف من سيرته الأولى قبل توليه مَكَّة شيئ، وخبر تعيينه والياً على مَكَّة يذكره ابن حاتم بقوله[122]: ((وكان في هذه السنة (أي سنة 646هـ) قد تعرض شمس الدين محمد بن المسيب لمولانا الشهيد (يعني الملك المَنْصُوْر) في أن يسلم له الحِجَاز، والتزم أداء مائة حصان، ومال نقد يحمل إلى الخزانة، فأجابه مولانا الشهيد إلى ذلك، وفصل إياس الشَّلاَّح منها)).

وهذا النص يبين أن المَنْصُوْر عيَّن ابن المسيب على ولاية الحِجَاز على سبيل الإقطاع، مقابل مبلغ من المال، ومواد عينية يقدمها سنوياً لخزانة دولته، كما يفسر هذا النص أن خزانة ملك اليمن المنصور في آخر ايامه كانت تعاني من أزمة مالية وهذا ما جعله يولى مَكَّة على سبيل الإقطاع.

وبموجب المرسوم تقدم ابن المُسّيب إلى مَكَّة والياً عليها، فتسلمها من الشَّلاَّح ليحكمها عامي عامين، وفي أثناء ولايته عليها ساءت أوضاعها الأمنية، والاقتصادية، والتجارية، بسبب سياسة الجَوْر والظلم التي سار عليها، منها أنه: أعاد فرض الجِبَايات والمُكُوس والإتاوات على أهل مَكَّة، ومن ولج إليها من التجار والحجاج والمجاورين، كما قام باقتلاع (المَرَبَّعة) التي كان فيها مرسوم المَنْصُوْر الصادر عام 639هـ/1242م، والذي يَمنع تلك الجبايات[123]، وكذلك استيلاؤه على أموال دار الولاية التي كانت تبعث من اليَمَن، ومرتبات الجند، حتَّى الصدقات التي كانت تصل من اليَمَن لفقراء مَكَّة والمجاورين فيها لم تسلم من السَّطْو عليها، فضلاً عن سلبه أموال التجار، ومن ذلك إجبار المجد بن أبي القاسم المسئول على أموال المتاجر التي كانت للمظفر بتسليم جميع الأموال التي بحوزته[124].

بَعْدَ جمعه لتلك الأموال أخذ يبني لنفسه حصناً بوادي (نخلة) أسماه (العطشان)، ومنه قرر الاستقلال بحُكْم مَكَّة[125].

اليمن يَفْقِد سيطرته على مَكَّة:

منذ العقد الثاني من القرن السابع الهجري/ الثاني عشر الميلادي حلت على اليَمَن نِعْمتان، نِعْمَة الاستقرار، ونِعْمَتَ التوحد، مما أتاح لحكامه مد سلطانهم إلى مَكَّة، لتصبح مَكَّة وأعمالها ولاية تابعة لحكام اليَمَن.

لكن توحد اليَمَن واستقراره لم يدوما طويلاً، إذ لم يأتِ عام 645هـ/1247م إلا وهناك بلدان كثيرة تتمرد على المَنْصُوْر[126]، لأخطاء وقع فيها في سنوات عمره الأخيرة، من تلك الأخطاء إصداره عام 646هـ/1248م مرسوماً يقضي بموجبه تعيين ابن المُسّيب والياً على مَكَّة بدلاً عن الشَّلاَّح، في الوقت الذي كانت غالبية مناطق اليمن الشمالية تنتفض عليه، فشجع ذلك والي مَكَّة الجديد -ابن المُسّيب- على مخالفة أوامره والاستبداد بحكمها[127].

وكما هو معلوم أن إمارة مَكَّة قبل أن تصبح ولاية تابعة لليمن كانت في يد الأشراف (بني قَتَادَة) الذي أُخْرِجُوا منها قبل عقود ثلاثة، ليتجمعوا في موطنهم الأصلي مدينة (يَنْبُع)، ومنها ظلوا يَتَحِينون الفرصة المواتية لاستعادة سيادتهم عليها، فوجدوا من وقوع اليمن في وَحْل الفتن، وما قام به واليه الجديد على مَكَّة ابن المسيب من مظالم ضاق الناس بها ذرعاً وقتاً مناسباً للعودة إلى حكم مَكَّة.

ولهذا نجد أمير مدينة يَنْبُع الشريف حسن بن علي بن قَتَادَة بَشَن هجوماً كبيراً على مَكَّة، يروي تفاصيل ذلك الهجوم الخزرجي بقوله[128]: ((ولما تحقق الشَّرِيف أبو سعيد (حسن) منه (أي من ابن المُسّيب) الخلاف على السُّلْطَان (المَنْصُوْر)، وثب عليه، وأخذ ما كان معه من خيل، وعدد، ومماليك، وقيده، وأحضر أعيان الحرم وقال: ما لزمته إلا لتحققي خلافه على مولانا السُّلْطَان، وعلمت أنه أراد الهرب بهذا المال الذي معه إلى العراق، وأنا غلام مولانا السُّلْطَان، والمال عندي محفوظ، والخيل والعدد إلى أن يصل مرسوم السُّلْطَان فيه)).

ومن كلام الخزرجي يتضح أن حسن بن علي بن قَتَادَة بعد أن فرض سيطرته على مَكَّة عمل على مخادعة أهلها وأعيانها حتَّى لا يرفضوه ويخرجوه منها؛ أما غاية مطلبه فكانت استعادة إمارة بني قَتَادَة على مَكَّة، وهذا ما كشف عنه القرشي بقوله: ((أن بعض الأعراب من زَبِيد حسن له الاستيلاء على مَكَّة، والفَتْك بمن فيها من جهة صاحب اليَمَن، وهونوا عليه أمرها))[129].

ولعدم وضوح ما ستؤول إليه مشاكل اليَمَن؛ فضّل حسن بن علي بن قَتَادَة التريث في إعلان انقضاء ولاية اليَمَن على مَكَّة، بدعوى الحفاظ على العَهْد الذي قطعه على نَفْسه لملكه المَنْصُوْر بأن يكون ((مساعداً لنوابه بمَكَّة)) [130]، وبمقتل ملك اليَمَن المَنْصُوْر في شهر ذي القعدة عام 647هـ/1250م، وانغماس خلفائه من بعده في حروب داخلية، ارْتَفَع عنه حرج ذلك العَهْد، ليعلن نَفْسه أميراً على مَكَّة عام 647هـ/1250م؛ منهياً بذلك تبعيتها لملوك اليَمَن[131].

إجمالاً يمكن القول: إن الاضطرابات والفِتَن الداخلية التي شهدها اليَمَن، وما صاحبها من تصرفات هوجاء قام بها والي مَكَّة ابن المُسّيب، كل ذلك مكن حسن بن علي بن قَتَادَة من انتزاع مَكَّة، إيذاناً باستعادة إمارة بني قَتَادَة عليها من جديد؛ لتطوى بذلك صفحة مهمة من تاريخ مَكَّة، امتدت لثلاثة عقود من الزمان.

نتائج الدراسة:

بَعْدَ الانتهاء من تناول التنافس اليمني المصري من أجل السيطرة على مَكَّة يستخلص الباحث عدداً من النقاط التي خرجت بها الدراسة، وهي على النحو الآتي:

1- تُعدُّ مَكَّة من أحب بقاع الأرض لدى المسلمين جميعاً، لما لها من أهمية دينية كبيرة، وهذا ما كان يغري كثيراً من حكام البلدان الإسلامية فرض نفوذهم المباشر عليها، أو إجبار أمرائها الأشراف على اعلان الولاء والخضوع الاسمى للخلافة القائمة والدعاء باسمها من على منبر الحرم المكي الشريف.

2- تمكن نائب سلطان مصر الكامل على اليَمَن (نور الدين عمر بن رسول) من تملك اليَمَن والاستقلال بحكمه، فأسس بذلك (الدولة الرسولية في اليمن)، لتبدأ مرحلة جديدة من علاقة اليمن الخارجية مع مصر اتسمت بالصراع والتنافس والعداء المسلح.

3- نجح الملك المنصور في الاحتفاظ باليمن واستقلاله بحكمه، حينما نقل المعركة بينه وبين مصر من داخل اليمن إلى بلاد الحجاز التي أضحت مسرحاً للعمليات العسكرية بينهما.

4- بينت الدراسة أن اليَمَن يمثل العُمْق الاستراتيجي- إذا جاز التعبير- لمَكَّة والحِجَاز، والحامي لها، وفي ذات الشياق يمثل الحِجَاز خط الدفاع الأمامي لليمن من أي غَزْو يأتي من الشمال والغرب (مِصْر، والشَّام)، بدليل أنه عقب فقدان مصر الأيوبية سلطتها على اليمن صارت عاجزه عن حفظ نفوذها على الأماكن المقدسة في الحجاز، على الرغم من محاولاتها المتكررة التي باءت بالفشل.

5- استمر التنافس والصراع المسلح بين اليمن ومصر من أجل السيطرة على مَكَّة (عشر سنوات)، فاليمن وجه إلى مَكَّة تسع حملات عسكرية هجومية، بينما وجهت مصر تسع حملات عسكرية لاستعادة نفوذها على مَكَّة من أيدي القوات اليمنية المهاجمة التي استولت عليها، واتسمت الحرب بين الطرفين بالكَرّ والفَرّ، والهُجُوم، ومن ثم الهُجُوم المضاد، دون حسم المعركة لأي من الطرفين لعدم دخولهما في صدام حقيقي ودامٍ لحرمة مَكَّة ومقدساتها.

6- بينت الدراسة أن اليمن نجح في الحفظ على استقلاله من محاولات مصر استعادة نفوذها عليه، بل إنه تمكن من فرض سلطته على الحجاز، بعد أن دمر جميع مواقعهم وتحصيناتهم العسكرية لاسيما قلعة (يَنْبُع)، حتَّى لا يبقى قرار للمِصْريين فيها، كما شيد عدد من المراتب العسكرية المحصنة على الساحل البحري للحَجّاز، ورتب فيها حاميات عسكرية، مهمتها مراقبة أي تحركات عسكرية مِصْرية من البحر والتصدي لها.

7- استقام حكم اليمن لمَكَّة ثمانية أعوام (639هـ-647هـ/1243-1249م)، شهدت خلاله عدة إصلاحات منها:

- أعاد اليَمَن لمَكَّة أمنها واستقرارها، كما رفع عن كاهل أهلها والوافدين إليها (حجاج وتجار) جميع المظالم؛ وأزال عنهم سائر الجبايات والمكوس التي كانت تجبى منهم، وتكفل هو بسداد ما تحتاجه دار الولاية من أموال، متبوعة بخزانة مالية تصرف على فقراء مَكَّة والمجاورين والمعدمين فيها، فأدى ذلك إلى انتعاشها تجارياً، واقتصادياً، وحضارياً، وعمرانياً.

– أنشأ اليمن عدداً من السبل الخيرية في مَكَّة، وأقاموا فيها الرباطات، وأصلحوا وعمروا المساجد والمدارس فيها، وأوقفاً عليها أوقاف كافية، كما عمل على رعاية علماء مَكَّة، ومن جاور فيها من العلماء وطلاب العلم، بتوفيره وسيلة معاشهم ومسكنهم، وغير ذلك من الأعمال الخيرية، كما تكفل بكسوة الكعبة المشرفة سنويا.

8- بينت الدراسة أن استقرار أوضاع اليَمَن الداخلية هي وحدها من تحفظ له استقلاله وتمكنه من مد نفوذه على مَكَّة، لكنها (أي مَكَّة) سرعان ما تخرج عن

ولايته، حينما يقع اليمن في براثين الفتن والخلافات الداخلية، ولهذا تمكن الأشراف (بنو قتادة) من استعادة إمارتهم على مَكَّة، لتنتهي بذلك ولاية اليمن عليها.

الهوامش والإحالات:

[1] - ابن واصل، جمال الدين محمَّد (ت697هـ/1298م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، دار الفكر العربي، بيروت، (د، ت، ط): 163/1، المقريزي، أحمد بن علي (ت845 هـ/1441م)، السلوك في معرفة دول الملوك، نشره الدكتور: زيادة، القَاهِرَة، 1956م، ط2: 154/1وما بعدها.

[2]- عن الأيوبيين بَعْدَ صَلَاح الدين ينظر: الصلابي، علي محمد (الدكتور)، الأيوبيون بَعْدَ صَلَاح الدين الأيوبي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م، ط1: 17/1-56.

[3]- ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين الشيباني (ت630هـ/1233م)، الكامل في التاريخ، حققه: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتب العربية، بيروت، 1420هـ/1999م، ط2: 340/10، المقريزي، السلوك: 312/1، وخلاط: هي قصبة أرمينية الوسطى، فيها الفواكه الكثيرة والمياه الغزيرة، وهي من عجائب الدنيا، الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/1229م)، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1991م، ط1: 380/2.

[4]- الصلابي، الأيوبيون بَعْدَ صَلَاح الدين: 471/1وما بَعْدَها.

[5]- ابن الأثير، الكامل: 373/10 وما بعد، وللاستزادة عن ذلك الصِّراع، ينظر: الصلابي، الأيوبيون بَعْدَ صَلَاح الدين، 471/1وما بَعْدَها.

[6] - ينسبون إلى سليمان بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، للمزيد عنهم ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمن (ت808هـ/1399م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، طبعة عام 1408هـ/1987م: 127/4-134، ابن فهد، النجم عمر بن فهد بن محمد بن محمد بن محمد(ت885هـ/1580م)، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق وتقديم: فهيم محمد شلتوت، مطابع جامعة أم القرى، 1404هـ/1983، ط1: 2/468-469، 475-477.

[7] - ينسبون إلى أبي هاشم بن الحسين بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. ينظر: ابن خلدون، العبر: 127/4-134، ابن فهد، إتحاف الورى: 2//468-469، 475-477.

[8]- كان الأمراء السليمانيون والْهَوَاشِم يستمدون شرعية حكمهم لمَكَّة من قبل خلفاء الدولة الفاطمية في مِصْر في أغلب الأوقات، وفي حالات نادرة كانوا يخطبون باسم الخِلافَة العباسية، ابن خلدون، العبر: 132/4-134.

[9]- هناك كتاب باسم "الأيوبيون في اليمن" للدكتور محمد عبد العال، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1400هـ/1980م لمن يريد الاستزادة.

[10]- عقب وفاة أمير مَكَّة عيسى بن فليتة عام 571هـ/1175م اختلف ابناه داود ومكثر على خلافته، فدخلا في صراع وحروب طويلة جلبت على مَكَّة كثيراً من الفِتَن والاضطرابات، ابن جبير، محمَّد بن أحمد (ت616هـ/1219م)، رحلة ابن جبير المسماة (اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1986م، ط2: ص62، القرشي، عز الدين عبد العزيز عمر بن محمد بن فهد الهاشمي (ت922هـ/1516م)، غاية المرام بأخبار سلطنة البلاد الحرام، 1406هـ/1986م، ط1: 535/1-543، الذَّهبي، محمَّد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري وآخرون، دار الكتاب العربي، بيروت، 1989، ط1: 14/9.

[11]- رحلة ابن جبير، ص62، وينظر: القرشي، غاية المرام: 542/1، ابن فهد، إتحاف الورى، 545/2-547.

[12]- القرشي، غاية المرام: 548/1، ابن فهد، إتحاف الورى: 553/2.

[13]- الناصر لدين الله أحمد بن المستضيئ بأمر الله الحسن بن المستنجد، أبو العباس، الناصر لدين الله: خليفة عباسي بويع بالخلافة بعد موت أبيه سنة 575، وطالت خلافته 46 سنة و 11 شهراً إلا يومين، ابن الأثير، الكامل، 451/10-453، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 206/42وما بَعْدَها، الصفدي، الوافي بالوفيات، 325/2.

[14]- ابن الأثير، الكامل: 248/10.

[15]- يَنْبُع اسم لوادٍ واسم لمدينة يَنْبُع تقع جنوب المدينة تبعد عنها سبع مراحل وهي بين مَكَّة والمدينة، ياقوت معجم، البلدان:449/5، 450.

[16] القرشي، غاية المرام: 552/1، يحيى بن الحسين بن القاسم (ت1100هـ/1689م)، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربي، القَاهِرَة، طبعة 1968م: 412/1، ابن فهد، إتحاف الورى: 567/2،566.

[17]- الفاسي، محمَّد بن أحمد الحسني (ت832هـ/1429م)، العِقْدُ الثمين في تاريخ البَلَد الأمِيْن، تحقيق: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998م، ط2: 53/7. للمزيد ينظر: ابن واصل، مفرج الكروب: 121/4،122، القرشي، غاية المرام: 567/1.

[18]- المقريزي، السلوك: 50/1، القرشي، بلوغ المرام: 554/1-557، الفاسي، العِقْد الثمين: 43/7-44، النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد (ت733هـ/1333م)، نِهَايَةُ الأرَب في فنُونُ الأدب، حققه مجموعة من الأساتذة بحسب الأجزاء، دار الكتب المِصْرية، القَاهِرَة، طبعة عام 1998م: 149/8، 43/29، الذهبي، تاريخ الإسلام: 403/9.

[19]- ابن حاتم، بدر الدين محمَّد (توفي حوالي702هـ/1302م)، السِّمْط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليَمَن، حققه: ركس س ميث. جامعة كامبردج, 1974م: ص166، القرشي غاية المرام،:589/1.

[20]- عن حَمْلَة المَسْعُوْد على اليَمَن ينظر: ابن حاتم، السِّمْط: ص169وما بَعْدَها.

[21]- الفاسي، العِقْد الثمين: 44/7-45، القرشي، بلوغ المرام: 557/1.

[22]- ابن خلدون، العبر: 135/4.

[23]- راجح هو الابن الأكبر لقَتَادَة بن إدريس، ووفقاً لنظام الحكم من حقه خلافة والده في إمارة مَكَّة، لكن أخاه الأصغر حسن سبقه إلى ذلك بتخلصه من والده، ومحاولته التخلص من أخيه راجح، ولهذا استنجد الأخير بملك اليَمَن الأيوبي المَسْعُوْد لحرب أخيه، عليها، ترجمته لدى: القرشي، غاية المرام: 611/1، 616-623.

[24]- ابن واصل، مفرج الكروب، 121/4-124، النويري، نهاية الأرب: 80/29،97، وللمزيد عن تلك الأحداث ينظر: ابن الأثير، الكامل، 426/10،425، القرشي، غاية المرام: 581/1-582، ابن فهد، إتحاف الورى: 30/3.

[25]- ينظر على التوالي: ابن حاتم، السِّمْط: ص175، ابن الأثير، الكامل: 367/10،368، ابن واصل، مفرج الكروب: 126/4، النويري، نهاية الأرب: 121/29-123، السنجاوي، علي بن تاج الدين بن تقي الدين (ت1125هـ)، منائح الكرام في أخبار مَكَّة والبيت الحرام وولاة الحرام، تحقيق: جميل عبد الله المِصْري، جامعة أم القرى، مَكَّة المكرمة، 1419هـ/1998م، ط1: 289/2،290.

[26]- الفاسي، العِقْد الثمين: 493/7.

[27]- نور الدين عمر بن رسول هو مؤسس الدولة الرسولية في اليمن كما سيأتي، للمزيد ينظر: ابن حاتم، السِّمْط، ص175، ابن فهد، إتحاف الورى، 35/1، وعن حَمْلَة المَسْعُوْد على مَكَّة ينظر: ابن الأثير، الكامل: 435/10، ابن واصل، مفرج الكروب: 121/4-123، ابن حاتم، السِّمْط: ص175، الذهبي، تاريخ الإسلام: 422/9، ابن خلدون، العبر: 135/4، المقريزي، السلوك: 60/1.

[28]- القرشي، غاية المرام: 631/2-633، عبد العال، محمد (الدكتور)، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقة اليَمَن الخارجية في عهدهما، الهيئة المِصْرية العامة للكتاب، الإسكندرية، طبعة 1980م: ص108-115.

[29] - عن أوضاع الأيوبيين في اليمن ينظر: ابن حاتم، السمط: ص16وما بعدها.

[30] - هم ابناء علي بن محمد بن رسول الذي أتى برفقة سيف الإسلام طغتكين عام 679هـ/1281م لليمن، يرافقه أولاده الأربعة وهم: (الحسن، موسى، أبو بكر، عمر)، وجميعهم يتصفون بالشجاعة والكرم والجود، للمزيد عنهم ينظر: عبد العال، بنو رسول وبنو طاهر: ص40وما بعدها.

[31]- ابن حاتم، السِّمْط، ص193، الخزرجي، علي بن الحسين (ت812هـ/1409م)، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، عني بتصحيحه: محمَّد بن علي الأكوع، دار الأدب، بيروت،1403هـ/1983م، ط/2: 46/1.

[32]- الفاسي، العِقْدُ الثَّمِيْن: 241/6.

[33]- ابن حاتم، السِّمْط: ص200-203، ابن عبد المجيد، عبد الباقي (ت743هـ/1342م)، بَهْجة الزَّمن في تاريخ اليَمَن، تحقيق: عبد الله محمَّد الحبشي، دار الحِكْمة اليمانية، صنعاء، 1408هـ/1988م، ط/1: ص 139، السنجاوي، منائح الكرام: 295/2.

[34]- ابن واصل، مفرج الكروب: 260/3، النويري، نهاية الأرب: 29/157-161، 33/128.

[35]- الخزرجي، العقود:52/1.

[36]- ابن حاتم، السمط: ص202-204، ابن عبد المجيد، بهجة الزمن: ص140، يحيى بن الحسين، غاية الأماني: 420/1،418.

[37]- المصدر نفسه: ص 204، القرشي، غاية المرام: 609/1.

[38]- الفاسي، العِقْد الثَّمِيْن: 244/6، ابن عبد المجيد، بهجة الزمان: ص143 السنجاوي، منائح الكرام: 294/2، القرشي، غاية المرام: 612/1-614.

[39]- أمير المدينة هو: شِيحَة بن هشام بن قاسم بن مهنا الأعرج بن حسين الحسيني، ترجمته لدى: الفاسي، العِقْد الثَّمِيْن: 22/5، القرشي، غاية المرام: 626/1-629.

[40]- وصاحب يَنْبُع هو: الحسن بن علي بن قَتَادَة بن إدْرِيْس بن مطاعن بن عبد الكريم الحسني، ينظر: الفاسي، العِقْد الثَّمِيْن: 160/4، القرشي، غاية المرام: 633/1-635.

[41]- القرشي، غاية المرام: 633/1-635، عبد العال، الأيوبيون في اليَمَن: ص289.

[42]- المصدر نفسه: 613/1.

[43]- المصدر نفسه: 609/1.

[44]- عبد العال، الأيوبيون في اليَمَن: ص288.

[45]- عبد العال، بنو رسول وبنو طاهر: ص100،388.

[46]- عبد العال، الأيوبيون في اليَمَن: ص 288-289، بنو رسول وبنو طاهر: ص 100،101،338.

[47]- تأخر الاعتراف بسلطة المَنْصُوْر على اليَمَن من قبل الخِلافَة العباسية ما يقارب أربعة أعوام، فلم يصل التقليد إلا عام 633هـ/1236م، ابن حاتم، السِّمْط: ص201.

[48]- المسافة بين القَاهِرَة ومَكَّة كبيرة جداً، قد تحتاج إلى ثلاثة أشهر أو أكثر، رحلة ابن جبير: ص29-52، بينما المسافة بين اليمن ومَكَّة قريبة جداً قد يقطعها المسافر في أقل من شهر.

[49]- الفاسي، العِقْد الثَّمِيْن: 272/4، السنجاوي، منائح الكرام: 279/2.

[50]- القرشي، غاية المرام: 612/2-614، السنجاوي، منائح الكرام: 294/2، الكبسي، محمد بن إسماعيل، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليَمَنية، مطبعة دار السعادة، مِصْر، بدون تاريخ: ص79.

[51]- ابن عبدان لم يعثر له على ترجمة في المصادر التي بين أيدينا.

[52]- ابن حاتم، السِّمْط: ص204، زبارة، محمَّد محمَّد، أئمة اليَمَن، مطبعة النصر، تعز، طبعة، 1952م:19/1. تعد هذه الحملة أول حملة عسكرية أرسلت من اليمن.

[53]- ابن حاتم، السِّمْط: ص204.

[54]- السنجاوي، منائح الكرام: 297/2.

[55]- ابن حاتم، السِّمْط: ص 205، الفاسي، العِقْد الثَّمِيْن: 344/6، القرشي، غاية المرام: 613/1،601.

[56]- يحيى بن الحسين، غاية الأماني: 420/1.

[57]- هو: يوسف بن محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه، ويقال له شيخ الشيوخ الجويني، عينه ملك مِصْر الصالح أيوب، وزيراً له، وكان ذا رأي وعقل، ودهاء، وشجاعة، وكرم، وله شعر، قتل في دمياط عام 647هـ/1249م، ينظر: الفاسي، العِقْد الثَّمِيْن: 496/7، القرشي، غاية المرام: 615/2، ابن آيبك، أبو بكر بن عبد الله الدواداري (ت732هـ/1331م)، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: د. سعيد عبد الفتاح عاشور طبعة عام 1972/1391م: 312/7.

[58] - ابن حاتم، السمط: ص205.

[59]- المصدر نفسه والصفحة نفسها، الفاسي، العِقْدُ الثَّمِيْن: 344/6.

[60]- المصدر نفسه والصفحة نفسها، يحيى بن الحسين، غاية الأماني: 420/1،421.

[61]- ابن آيبك، كنز الدرر: 309/7، الخزرجي، العقود:58/1.

[62]- المقريزي، السلوك: 244/1، القرشي، غاية المرام: 624/1.

[63]- القرشي، غاية المرام: 613/1،624،625، السنجاوي، منائح الكرام: 298/2.

[64]- ابن حاتم، السِّمْط: ص206، السنجاوي، منائح الكرام: 298/2.

[65]- هناك تضارب في رواية المؤرخين حول ما إذا كانت مِصْر قد أقدمت على استعادة سلطتها على اليَمَن بَعْدَ أن فقدتها، فابن عبد المجيد، بهجة الزمان ص143، الجندي، محمَّد بن يوسف الكندي (ت732هـ/1332م)، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمَّد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1416هـ/1995م، ط/2: 541/2، والنويري، نهاية الأرب: 130/33، أجمعت رواياتهم على أن مِصْر أرسلت حَمْلَة عسكرية لاستعادة اليَمَن عام 632هـ/1235م بقيادة الأمير جُفْرِيل، وهذه الحَمْلَة مكونة من ألفي فارس، لكنها فشلت في مهمتها. بينما ابن حاتم في كتابه السِّمْط: ص208، يشير إلى هذه الحملة وقائدها؛ لكنه عد فرسانها بخمسمائة فارس، ومهمتها استعادة السيطرة على مَكَّة فقط، وقد تابع ابن حاتم عدد من المؤرخين منهم: الخزرجي، العقود: 59/1، والفاسي، العِقْد الثَّمِيْن: 344/6،345، ولعل ابن حاتم اختلط عليه الأمر بين الحملات نتيجة كثرتها؛ سواءٌ التي أرسلت من اليَمَن إلى مَكَّة، أو التي أرسلتها مِصْر، فأوقع نفسه ومن نقل عنه في الخطأ، وبَعْدَ المقارنة والتحري والتحليل بين تلك المعلومات يتبين صحة القول الذي أوردناه في المتن.

[66]- الفاسي، العِقْد الثَّمِيْن: 434/3، القرشي، غاية المرام: 625/1،626.

[67]- المصدر نفسه: 343/3، المصدر نفسه: 626/1.

[68]- ابن حاتم، السِّمْط: ص208.

[69]- السنجاوي، منائح الكرام: 298/2،299، ابن فهد، إتحاف الورى: 49/3،50.

[70]- الجندي، السلوك: 541/2، ابن عبد المجيد، بهجة الزمن: ص143، النويري، نهاية الأرب: 130/33.

[71]- ابن حاتم، السِّمْط: ص221، الخزرجي، العقود: 59/1.

[72]- الخزرجي، العقود: 59/1، ابن فهد، إتحاف الورى: 49/3،50، يحيى بن الحسين، غاية الأماني: 422/1، القرشي، غاية المرام: 602/1، السنجاوي، منائح الكرام: 300/2.

[73]- ابن حاتم، السِّمْط: ص208، الجندي، السلوك: 541/2، ابن عبد المجيد، بهجة الزمن: ص143، النويري، نهاية الأرب: 130/33، الخزرجي، العقود: 59/1، ابن فهد، إتحاف الورى:

50،49/3، يحيى بن الحسين، غاية الأماني: 422/1، القرشي، غاية المرام: 602/1، السنجاوي، منائح الكرام: 300/2.

[74]- من تلك المشاكل الداخلية نقض الأشراف الزيدية من بني حَمْزَة الصلح المعقود بينهم وبين الملك المَنْصُوْر، فأثاروا الفِتَن والقلاقل، لكنه تمكن من إخضاعها، حول ذلك ينظر: ابن حاتم، السِّمْط: ص 208-209، الخزرجي، العقود: 62/1-63، يحيى بن الحسين، غاية الأماني: 423/1-424.

[75]- ابن حاتم، السِّمْط: ص 215.

[76]- المصدر نفسه: ص201وما بَعْدَها، الجندي، السلوك: 541/2-544، ابن عبد المجيد، بهجة الزمن: ص139-144، الفاسي، العِقْدُ الثَّمِيْن: 340/6، ابن فهد، إتحاف الورى: 595/1-607، القرشي، غاية المرام: 595/1-607.

[77]- العقود،:81/1.

[78]- ابن حاتم، السِّمْط: ص215، ابن فهد، إتحاف الورى: 53/3.

[79]- المصدر نفسه: ص 214-215، ابن فهد، المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[80]- السمط، ص 215،216.

[81]- ابن عبد المجيد، بهجة الزمان: ص144، النويري، نهاية الأرب: 130/33.

[82] - ممن انضموا: عز الدين البندقي، وعز الدين بن أبي زكري، ووجه الفرس، وابن قراحة وغيرهم، ابن حاتم، السِّمْط: ص217.

[83] - ابن فهد، إتحاف الورى: 53/3، الفاسي، العِقْدُ الثَّمِيْن: 345/6-346، المقريزي، السلوك: 100/1.

[84]- ابن حاتم، السِّمْط: ص216،217.

[85]- الخزرجي، العقود: 64/1، القرشي، غاية المرام، 603،626/1.

[86]- ابن الوليد هو: السلطان أبو السمو العلاء بن محمد العلاء الوليد الحميري (ت680هـ/1281م)، من معشار تعز، تنقل بين عدد من المراكز العلمية لأخذ العلم، فأصبح عالماً في علوم القرآن والحديث والأدب والشعر، الخزرجي، العقود: 191/1،192، يحيى بن الحسين، غاية الأماني: 423/1، بينما ابن التعزي لم يعثر له على ترجمة.

[87]- الكبسي، اللطائف السنية: ص79.

[88]- من هؤلاء الشعراء، شاعر اليَمَن وأديبه في عصره محمد بن حمير فقد نظم قصيدة يمدح بها الملك المَنْصُوْر على النصر الذي حققه، الخزرجي، العقود: 65/1، الفاسي، العِقْدُ الثَّمِيْن: 346/6.

[89]- للمزيد عن أوضاع مِصْر ينظر: الصَّلَّابيّ، الأيوبيون بَعْدَ صلاح الدين: 484/1وما بَعْدَها.

[90]- ابن حاتم، السِّمْط: ص218، ابن فهد، إتحاف الورى: 56/3.

[91]- العِقْدُ الثَّمِيْن: 22/5، وينظر: القرشي، غاية المرام: 627/2.

[92]- الخزرجي، العقود: 66/1، ابن فهد، إتحاف الورى: 56/3.

[93]- ابن حاتم، السِّمْط: ص219، الكبسي، اللطائف: ص80.

[94]- الفاسي، العِقْدُ الثَّمِيْن: 346/6، ابن فهد، إتحاف الورى: 3/ 56،57.

[95]- النويري، نهاية الأرب: 71/27، المقريزي، السلوك: 405/1.

[96]- ابن فهد، إتحاف الورى، 57/3، الفاسي، العِقْدُ الثَّمِيْن، 155/3، القرشي، غاية المرام، 629/1،630.

[97] - ابن حاتم، السمط، ص220، المقريزي، السلوك، 416/1.

[98]- الفاسي، العِقْدُ الثَّمِيْن: 155/3، القرشي، غاية المرام: 629/1،630، ابن فهد، إتحاف الورى: 57/3،58.

[99]- ابن حاتم، السِّمْط: ص220، الخزرجي، العقود: 70/1.

[100]- المصدر نفسه والصفحة نفسها، ابن فهد، إتحاف الورى: 57/3-58.

[101]- الجندي، السلوك: 543/2، الخزرجي، العقود: 82/1، يحيى بن الحسين، غاية الأماني: 425/1.

[102]- ابن حاتم، السِّمْط: ص221، القرشي، غاية المرام: 635/1.

[103]- الفاسي، العِقْدُ الثَّمِيْن: 347/6، الخزرجي، العقود: 70/1، السنجاوي، منائح الكرام: 304/2.

[104]- العقود: 83/1، وينظر: الجندي، السلوك: 543/2.

[105]- حلي في ذلك الوقت كانت حد الحجاز من جهة اليمن تبعد عن مَكَّة تسع مراحل، وهي على ساحل البحر الأحمر، ياقوت، معجم البلدان: 168/1، 170، 112/2.

[106]- الخزرجي، العقود: 83/1.

[107]- الفاسي، العِقْدُ الثَّمِيْن: 340/6، 341، ابن فهد، إتحاف الورى: 37/3، 41، 49، 50، السنجاوي، منائح الكرام: 298/2، 299.

[108]- الفاسي، العِقْدُ الثَّمِيْن: 247/6.

[109]- ابن حاتم، السِّمْط: ص 221، القرشي، غاية المرام، 604/2، 605، ابن فهد، إتحاف الورى، 58/3.

[110]- الجندي، السلوك، 543/2، ابن فهد، إتحاف الورى: 54/3، الفاسي، العِقْدُ الثَّمِيْن: 348/6.

[111]- ابن حاتم، السِّمْط: ص221، يحيى بن الحسين، غاية الأماني: 425/1.

[112]- المصدر نفسه والصفحة نفسها، الفاسي، العِقْدُ الثَّمِيْن: 347/6.

[113]- السلوك: 543/2، وينظر: ابن حاتم، السِّمْط: ص 221-222، الفاسي، العِقْدُ الثَّمِيْن: 347/6، الخزرجي، العقود: 70/1.

[114]- السِّمْط: ص222، وينظر: ابن فهد، إتحاف الورى: 61/3.

[115] - الفاسي، العِقْدُ الثَّمِيْن: 378/4، ابن فهد، إتحاف الورى: 61/3.

[116]- ابن فهد، إتحاف الورى: 54/3.

[117]- الجندي، السلوك: 543/2.

[118]- الخزرجي، العقود: 82/1.

[119]- ابن فهد، إتحاف الورى: 64/3.

[120]- ابن حاتم، السِّمْط، ص221، الفاسي، محمَّد بن أحمد الحسني (ت832هـ/1429م)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت: 1/ 523، 540، 544، ابن فهد، إتحاف الورى: 66/3.

[121]- الفاسي، شفاء الغرام، 523/1.

[122]- السِّمْط: ص 226-227، الخزرجي، العقود: 77/1، القرشي، غاية المرام: 332/1، المقريزي، السلوك: 108/1.

[123]- ابن حاتم، السِّمْط: ص235، 234، المقريزي، السلوك: 108/1.

[124]- الخزرجي، العقود: 77/1، القرشي، غاية المرام: 632/1.

[125]- ابن حاتم، السِّمْط: ص 235، ابن فهد، إتحاف الورى: 67/3.

[126]- كانت أوضاع اليَمَن في الوقت الذي تولى فيه ابن المُسَيِّب ولاية مَكَّة غير مستقرة، لحدوث تصدع في الأسرة الحاكمة في اليَمَن بين ملكه المَنْصُوْر وابن أخيه أسد الدين والي صنعاء، فانتفضت المناطق الشمالية برمتها على المنصور، وأعلن أحمد بن الحسين إمامته على الزيدية، واستجابت له معظم قبائل تلك المنطقة، للمزيد ينظر: ابن حاتم، السِّمْط: ص223-231، الكبسي، اللطائف السنية: ص80-82.

[127]- المقريزي، السلوك: 108/1.

[128]- العقود: 77/1، وينظر: القرشي، غاية المرام: 634/2، ابن فهد، إتحاف الورى: 67/3-69.

[129]- القرشي، غاية المرام: 633/1.

[130]- الفاسي، العِقْدُ الثَّمِيْن: 347/6، الخزرجي، العقود: 70/1، السنجاوي، منائح الكرام: 304/2.

[131]- ومن المصادفة أن اليوم الذي استولى فيه علي بن الحسن بن قَتَادَة على مَكَّة هو نفس اليوم الذي قتل فيه ملك اليَمَن المَنْصُوْر، وهو التاسع من ذي القعدة عام647هـ/1249م، ينظر: ابن فهد، إتحاف الورى: 72/3، 70، 71، الخزرجي، العقود: 77/1-78، القرشي، غاية المرام: 631/2-633، عبد العال، بنو رسول وبنو طاهر: ص108-115.